رحيل رئيس التحرير الأسبق جمال سعد حاتم .. وقطوف من كتاباته

التوحيد

مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ● العدد ٦٢٦ السنة الثالثة والخمسون - صفر ١٤٤٥ هـ

الثمن ١٠ جنيهات

مسابقة القرآن الكريم

ورحل الدكتور السالوس

لماذا يحرقون المصاحف؟

- لا حول ولا قوة إلا بالله
- حقوق الطفل التربوية في مرحلة التمييز
- العالم الإسلامي والحضارة الغربية: وِفاق أم مُواجهة ؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام
على مجلة التوحيد
فضيلة الشيخ

أحمد يوسف عبدالمجيد

هيئة التحرير:

مستشار التحرير:

جمال سعد حاتم

رئيس التحرير التنفيذي:

حسين عطا القراط

مدير التحرير

إبراهيم رفعت أبو موته

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢ .

٢- في الخارج ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودى أو مايعاد لهما

السلام عليكم

المدح المحمود والمذموم

المدح والثناء من الأمور التي تُسَر بها النفوس غالبًا، وتحفزها على زيادة العطاء والمحافظة عليه؛ فيحتاجه الزوج مع زوجته والأب مع أبنائه، والمعلم مع طلابه، والرئيس مع مرؤوسيه، تحفيزًا لهم على العطاء، وحثًا لغيرهم لينافسهم في البذل والعطاء. واغفال الثناء والمدح قد يؤدي إلى الفتور لعدم تقدير الجهد، واستواء المحسن والمسيء.

ولذا نجد في كتاب ربنا مدح أوليائه من المرسلين وأتباعهم، وبيان ما أعده الله لهم من النعيم المقيم والدرجات العُلَى، ولكنه سبحانه ينهى عن مدح النفس « فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ »(النجم ٣٢).

وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم نجد نبيِّنا أشاد بالمدحَ تارَةً وذم المدح تارة أخرى، وكله حق؛ فالمدح الممدوح هو الذي في محله، والمدح المذموم هو الذي في غير محله أو يؤدي إلى مفسدة، فمن الممدوح شكر الناس باللسان على إحسانهم؛ لحديث أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يَشْكُرُ الله مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ". (سنن أبي داود، جامع الترمذي، مسند أحمد)، ولكنه يتحرز بقوله: أحسبه والله حسيبه كما ورد في الصحيحين من حديث أبي بكرة.

أمّا إذا انعدم في المَدح الصدق، أو صَاحبَه نفاق، أو اتُّخذَ مهنةَ للتكسب، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيمن كان هذا حاله: "إذا رأيتم المدَّاحين فَاحْثُوا في وجُوههِم التُّراب (صحيح مسلم). والمقصود في الحديث بالمداحين الذين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بحَثْوِ التُّراب في وجُوههِم هُم الكذّابُون، .

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٩ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٩ سنة كاملة

فهرس العدد

من أسباب إجابة الدعاء د. عبد الله شاكر ٢
لا حول ولا قوة إلا بالله :
الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد ٥
باب التفسير د. عبد العظيم بدوي ٩
من بلاغة القرآن الكريم:
د. عبدالرحمن فودة ١٢
من أخبار الجماعة ١٥
حقوق الطفل التربوية: الشيخ عادل شوشة ١٧
خلق الحياء : مهندس محمد ياسين بدر ٢٠
غزوة بني قينقاع : د. سيد عبد العال ٢١
الإخاء الصادق: الشيخ عبده أحمد الأقرع ٢٤
مجمل اعتقاد أهل السنة: د. أيمن خليل ٢٧
العالم الإسلامي والحضارة الغربية
د. عبد الوارث عثمان ٣٢
واحة التوحيد علاء خضر ٣٦
الحائض ودخول المسجد د. متولي البراجيلي ٣٨
لماذا يحرقون المصاحف؟!
الشيخ أحمد سليمان ٤٢
ثمرات التفاؤل في الدنيا والآخرة
الشيخ صلاح نجيب الدق ٤٥
رحيل رئيس التحرير الأسبق جمال سعد حاتم ..
وقطوف من كتاباته ٤٩
تحذير الداعية من القصص الواهية
الشيخ علي حشيش ٥٣
إياك نعبد وإياك نستعين
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
من فتاوى الأزهر الشريف ٦١
ورحل الدكتور السالوس د. أيمن خليل ٦٤
إنما أشكو بثي وحزني إلى الله:
الشيخ صلاح عبد الخالق ٦٧
الإنصاف: الشيخ حسين صادق ٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريال ، الإمارات ١٢ دراهم ، الكويت ١ دينار ، المغرب ٢ دولار أمريكي ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريال ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولار، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

من أسباب إجابة الدعاء

بقلم:

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء وخاتم المرسلين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين. وبعد، فأواصل الحديث حول ذكر أبرز أسباب إجابة الدعاء، فأقول وبالله التوفيق:

السبب الثالث: الابتداء بحمد الله والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إن العبد المتبتل لربه ومولاه حَسَن الثناء على الله وذِكْره بأفضل المحامد، والثناء عليه بما هو أهله، وهذا أمرٌ يجب أن يعتني به الداعي الراجي ثواب ربه ومولاه، فيبدأ قبل دعائه بحمد الله والثناء عليه، وقد أرشد إلى ذلك النبي عليه الصلاة والسلام كما في حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: «بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد؛ إذ دخل رجل فصلى فقال: اللهم اغفر لي وارحمني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عجلتَ أيها المصلِّي (الداعي)، إذا صليتَ (دعوتَ) فقعدت فاحمد الله بما هو أهله، وصل عليَّ، ثم ادعه، قال: ثم صلى رجل آخر بعد ذلك، فحمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أيها المصلي ادعُ تُجَب». (أخرجه الترمذي وصححه الألباني كما في صحيح سنن الترمذي برقم ٢٧٦٦).

وعن فضالة بن عبيد أيضًا: أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلًا يدعو في صلاته، فلم يحمد الله ولم يُصلِّ على النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «عجل هذا، ثم دعاه فقال له: إذا صلَّى أحدكم، فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم ليصلِّ على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدعُ بعدُ بما شاء». (أخرجه الترمذي في سننه وصححه الألباني كما في صحيح سنن الترمذي حديث رقم ٢٧٦٧).

ومما يدل على ذلك أيضًا: دعاء المصلي وهو يقرأ فاتحة الكتاب، فهو يبدأ أولًا: بحمد الله والثناء عليه، ثم يدعو، فيقول الله تعالى: «لعبدي ما سأل»، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي،

وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجَّدني عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل». (صحيح مسلم رقم ٣٩٥).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُعلِّم أصحابه الثناء على الله قبل الدعاء، ومن ذلك أمره لمن أراد أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول: «اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدَّيْن، وأغننا من الفقر». (مسلم ٣٧١٣).

وإذا تأمل العبد صلاة الجنازة يجد أن الدعاء فيها إنما يكون بعد تعظيم الله وتحميده أولًا؛ لأن المصلي يقرأ فاتحة الكتاب أولًا بعد التكبيرة الأولى، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التكبيرة الثانية، ثم يدعو بعد الثالثة، وبذلك يقع الدعاء بعد تعظيم الله وتحميده، وقد فهم ذلك الصحابة رضوان الله عليهم، فهذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «إذا أراد أحدكم أن يسأل ربه؛ فليبدأ بالمدح والثناء على الله بما هو أهله، ثم ليصلِّ على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ليدعُ بعدُ، فإنه أجدر أن ينجح». (المصنف لعبد الرزاق ج١٠/ ٤٤١).

وقال علي رضي الله عنه: «الدعاء محجوب عن الله، حتى يُصلَّى على محمد وآل محمد»، قال البيهقي بعد روايته: ورويناه من وجه آخر عن مالك بن دينار، عن أنس بن مالك مرفوعًا. (الجامع لشعب الإيمان: ج٣/٤٤٢).

السبب الرابع: الأكل من الحلال واجتناب الحرام:

أمر الله تبارك وتعالى المرسلين بأكل الحلال الطيب، فقال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ » (المؤمنون: ٥١)، وهذه الآية تدل على أن أكل الحلال فيه عون على القيام بالصالح من الأعمال، والخطاب في الآية مُوجَّه إلى المرسلين، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في سنته: «أن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين» كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَيُّها النَّاسُ، إنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّبًا، وإنَّ اللَّهَ أمَرَ المُؤْمِنِينَ بما أمَرَ به المُرْسَلِينَ، فقالَ: «يا أَيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ واعْمَلُوا صالِحًا إنِّي بما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ»، وقالَ: «يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ»، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أشْعَثَ أغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّماءِ، يا رَبِّ، يا رَبِّ، ومَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرامٌ، وغُذِيَ بالحَرامِ، فأنَّى يُسْتَجابُ لذلكَ؟!». (مسلم ١٠١٥).

فهذا الحديث يدل على أن المؤمنين أُمروا بما أُمرَ به المرسلون من وجوب الأكل من الطيبات، وبناء على ذلك، فإن أكل الحرام -أعاذنا الله جميعًا منه- مانعٌ من موانع إجابة الدعاء، ولذلك عليك -يا عبد الله- أن تحرص على الحلال في جميع أحوالك ليستجيب الله دعاءك.

السبب الخامس: دعاء الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا:

لله تبارك وتعالى من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أعلاها، وقد أمرنا في كتابه أن ندعوه بأسمائه، فقال تعالى: « وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ » (الأعراف: ١٨٠)، وهذه الآية فيها دليل على عظيم جلال الله وكمال صفاته.

وأمر من الله تبارك وتعالى بدعاء الله بها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُكثر في دعائه من ذكْر أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، ومما يدل على ذلك حديث عطاء بن السائب قال: صلّى عمّارُ بنُ ياسر بالقوم صلاةً أخفَّها، فكأنَّهم أنكروها! فقال: ألَم أُتمَّ الرُّكوعَ والسُّجود؟ قالوا: بلى. قال: أمَّا إنِّي دعوتُ فيها بدعاءٍ كانَ النَّبيُّ صلَّى اللَّه عليْه وسلَّمَ يدعو به «اللَّهمَّ بعلمِكَ الغيبَ وقدرتِكَ على الخلقِ أحيِني ما علمتَ الحياةَ خيرًا لي وتوفَّني إذا علمتَ الوفاةَ خيرًا لي وأسألُكَ خشيتَكَ في الغيبِ والشَّهادةِ وكلمةَ الإخلاصِ في الرِّضا والغضبِ وأسألُكَ نعيمًا لا ينفدُ وقرَّةَ عينٍ لا تنقطعُ وأسألُكَ الرِّضاءَ بالقضاءِ وبردَ العيشِ بعدَ الموتِ ولذَّةَ النَّظرِ إلى وجهِكَ والشَّوقَ إلى لقائكَ وأعوذُ بكَ من ضرَّاءَ مُضرَّةٍ وفتنةٍ مضلَّةٍ اللَّهمَّ زيِّنَّا بزينةِ الإيمانِ واجعلنا هداةً مُهتدينَ». (صحيح النسائي: ١٣٠٥).

ويلاحظ في هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر في بداية دعائه صفتين عظيمتين هما العلم والقدرة، وذلك في قوله: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق»، ثم دعاء بعد ذلك بهذه الدعوات المباركات، وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم في سائر دعائه، وتأمل هذا الحديث العظيم: قال صلَّى اللَّه عليْه وسلَّمَ: «ما أصابَ أحدًا قطُّ همٌّ ولا حَزَنٌ، فقال: اللَّهُمَّ إنِّي عبدُك، ابنُ عبدِك، ابنُ أمتِك، ناصيتي بيدِك، ماضٍ فيَّ حُكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك، سمَّيتَ به نفسَك، أو علَّمتَه أحدًا من خلقِك، أو أنزلتَه في كتابِك، أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندَك، أنْ تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي، ونورَ صدري، وجلاءَ حُزني، وذهابَ همِّي، إلَّا أذهَبَ اللهُ همَّه وحُزنَه، وأبدلَه مكانَه فرحًا»، قال: فقيلَ: يا رسولَ اللهِ، ألا نتعلَّمُها؟ فقال: «بلى، ينبغي لمن سمعَها أنْ يتعلَّمَها». (رواه أحمد وغيره، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، حديث رقم ١٩٩، ج١/٣٢٦).

وقد أخبرنا القرآن الكريم أن ملائكة الله تعالى كانوا قبل دعائهم يتوسلون إلى الله بذكر شيء من أسمائه الحسنى وصفاته العلا، قال تعالى: «ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ» (غافر: ٧).

ولعلك أيها القارئ الكريم تلاحظ أنهم توسلوا إلى الله قبل دعائهم بإثبات صفتي العلم والرحمة، قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: «يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حملة العرش الأربعة، ومن حوله من الكروبيين بأنهم يسبّحون بحمد ربهم، أي: يقرنون بين التسبيح الدالّ على نفي النقائص، والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح» (تفسير ابن كثير، ج٤/ ٩٣).

وتأمل دعاء نبي الله أيوب الذي توسل إلى الله بأنه أرحم الراحمين، قال تعالى: «وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ» (الأنبياء: ٨٣- ٨٤).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُعلِّم أصحابه ذلك، كما في حديث أبي بكر رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: علِّمْني دعاءً أدعو به في صلاتي. قال: قل: «اللهم إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت؛ فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم». (البخاري ٨٣٤، ومسلم: ٢٧٠٥)؛ ففي هذا الحديث توسُّل إلى الله بفضله وجُوده، ثم جاء الدعاء بعد ذلك بسؤال الله مغفرة الذنوب.

أسألك الله تعالى أن يغفر لنا ويرحمنا، وأن يتوفنا وهو راضٍ عنا، وأن يجمعنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، والحمد لله رب العالمين.

لا حول ولا قوة إلا بالله

لا حول ولا قوة إلا بالله

إعداد الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد
الرئيس العام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وبعد:

فإن ذكر الله تعالى طوق نجاة للقلوب يأخذ بها إلى شاطئ الاطمئنان. قال تعالى: «ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ» **(الرعد: ٢٨). لذلك أمرنا ربنا بالإكثار منه فقال:** «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» **(الأحزاب: ٤١-٤٢).**

ومن هذا الذكر ما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه "كنز من كنوز الجنة"؛ ألا وهو كلمة: «لا حول ولا قوة إلا بالله». فقد أورد البخاري في كتاب: الدعوات من حديث أبي موسى الأشعري قال: لَمَّا غَزَا رَسولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ خَيْبَرَ-أوْ قالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسولُ اللَّه صلَّى الله عليه وسلَّمَ- أشْرَفَ النَّاسُ علَى وادٍ، فَرَفَعُوا أصْوَاتَهُمْ بالتَّكْبِيرِ: اللَّه أكْبَرُ اللَّه أكْبَرُ، لا إلَهَ إلَّا اللَّه، فَقالَ رَسولُ اللَّه صلَّى الله عليه وسلَّمَ: ارْبَعُوا علَى أنْفُسِكُمْ؛ إنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أصَمَّ ولَا غَائِبًا؛ إنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وهو معكُمْ. وأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسولِ اللَّه صلَّى الله عليه وسَلَّمَ، فَسَمِعَنِي وأَنَا أقُولُ: لا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللَّه، فَقالَ لِي: يا عَبْدَ اللَّه بنَ قَيْسٍ. قُلتُ: لَبَّيْكَ يا رَسولَ اللَّه، قالَ: ألَا أدُلُّكَ علَى كَلِمَةٍ مِن كَنْزٍ

من كُنوز الجنَّة؟ قُلتُ: بَلَى يا رَسولَ الله، -فَداكَ أبي وأمِّي- ، قالَ: لا حَولَ ولا قُوَّةَ إلّا بالله. (متفق عليه: البخاري كتاب: المغازي - باب: غزوة خيبر، صحيح مسلم - كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب: استحباب خفض الصوت بالذكر).

وأخرج أحمد عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به مرَّ على إبراهيم (على نبينا وعليه الصلاة والسلام) فقال: «يا محمد مُرْ أمتك أن يُكثروا من غراس الجنة، قال: وما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله». مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة، فإن تربتها طيبة، وأرضها واسعة. قال: وما غراس الجنة ؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وإن من أهم الأسباب الجالبة للانتفاع بالذِّكر: معرفة معناه، ورسوخه في القلب، وإن مما ورد في ذلك ما يُعبَّر عنها كلمة: الحوقلة أو الحولقة: كما يقال عن بسم الله الرحمن الرحيم: «البسملة». جاء في لسان العرب: الحول: الحركة تقول: حال الشخص إذا تحرك وكذلك كل متحول عن حال فكأن القائل إذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله يقول لا حركة واستطاعة إلا بمشيئة الله. ومنه حديث صهيب في مسند أحمد: « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا لقي العدو: اللهم بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل »؛ أي: أتحرك.

> “ من أهم الأسباب الجالبة للانتفاع بالذكر: معرفة معناه، ورسوخه في القلب. ”

قال النووي -رحمه الله- في معنى «لا حول ولا قوة إلا بالله»: «الحول الحركة والحيلة؛ أي: لا حركة واستطاعة ولا حيلة إلا بمشيئة الله تعالى. وقيل: لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله، وقيل: لا حول عن معصية الله إلا بعصمته، ولا قوة على طاعته إلا بمعونته..... وحُكي هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه، وكله متقارب؛ فهي كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى، واعتراف بالإذعان له، وأنه لا صانع غيره، ولا راد لأمره، وأن العبد لا يملك شيئًا من الأمر».

لذلك بوَّب لها البخاري رحمه الله في كتاب: القدر مما يشير إلى تفويض الأمر إليه سبحانه؛ لأنه القادر على كل شيء: « أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » (الأعراف: ٥٤)، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري عند رفع رأسه من الركوع: « ربنا لك الحمد ملء

السماوات والأرض وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد. اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد».

فهذه الحوقلة إقرار بالإيمان بالقدر الذي هو ركن من أركان الإيمان؛ فكل الحول وكل القوة لله وحده سبحانه، ولأجل كل هذه المعاني إذا رسخت في القلب سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كنز من كنوز الجنة».

قال ابن حجر: «لأنها كالكنز في نفاسته وصيانته عن أعين الناس». وقال الإمام النووي - في معنى الكنز-: «إنه ثواب مُدَّخر في الجنة وهو ثواب نفيس، كما أن الكنز أنفس أموالكم. فنافس يا عبد الله بكثرة الاكتناز في الجنة بقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، متدبرًا معناها موقنًا بمقتضاها».

فإذا أعجبك مالك أو ولدك أو تجارتك أو ما أولاك ربك من نعم؛ قلت: «ما شاء الله، لا قوة إلا بالله»؛ فقد نصح بها الرجل الصالح صاحبه الذي غرَّته الدنيا وكفر بنعم الله؛ فقال له: «وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ» (الكهف: ٣٩).

> ” إن ضاقت بك السبل، وصعبت عليك الأمور، وضعفت قوتك فإن الذي يحولك بقدرته وقوته إلى ما تريد هو الله وحده سبحانه. “

عليك بها-يا عبد الله- إن ضاقت بك السبل، وصعبت عليك الأمور، وضعفت قوتك فإن الذي يحولك بقدرته وقوته إلى ما تريد هو الله وحده سبحانه.

فعند خروجك من بيتك تَخَلَّ عن حولك وقُوّتك وسلِّم أمرك لربك؛ آخذًا بالأسباب الحسية والشرعية؛ عندها يكفيك الله كل همّ، ويحفظك من كل سوء، ويهديك للصراط المستقيم.

ففي سنن أبي داود وسنن النسائي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ قال: يقال حينئذ: هُديت وكُفيت ووُقيت؛ فتتنحى له الشياطين، فيقول شيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدِيَ وكُفِيَ ووُقِيَ».

واعلم-يا عبد الله- أن إجابتك للمؤذن إنما هي بحول الله وقوته؛ لذلك شرع لمن يسمع المؤذن أن يقول مثل قوله حتى إذا جاء على الحيعلتين حوقل؛ فقد أورد الإمام مسلم في كتاب الصلاة حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: «إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال: أشهد أن محمدًا رسول الله، قال أشهد أن محمدًا رسول الله، ثم قال: حي على الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال حي على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: الله أكبر، الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر، ثم قال لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله من قلبه؛ دخل الجنة».

قال النووي رحمه الله: "اقتصر صلى الله عليه وسلم من كل نوع شطره؛ تنبيهًا على باقيه".

ورحم الله ابن حجر حيث قال في الفتح: "ما قاله الطيبي معنى الحيعلتين: هلم بوجهك وسريرتك إلى الهدى عاجلاً، والفوز بالنعم آجلاً؛ فناسب أن يقول هذا أمر عظيم لا أستطيع مع ضعفي القيام به إلا إذا وفقني الله بحوله وقوته.

> “الحوقلة إنما هي لجوء إلى الله، وإيمان بقدره سبحانه، وحُسن توكُل عليه وتسليمٌ لقضائه.”

وبعدُ -أيها القارئ الكريم- هذا شرع الله يُرسِّخ في قلب العبد؛ أن لهذا الكون مُدبِّرًا واحدًا قادرًا على كل شيئا هو وحده الذي يملك أن يُحوِّل العبد بحوله وقوته؛ فلا أحد غيره يملك من الأمر شيئًا، ولو كان ذلك الغيرُ رسول الله محمدًا صلى الله عليه وسلم؛ فقد أمره ربه بقوله: «قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا» (الجن: ٢١).

قال ابن كثير -رحمه الله- عند تفسيره لهذه الآية-: "إنما أنا بشر مثلكم يُوحى إلي، وعبد من عباد الله ليس لي من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم، بل المرجع في ذلك كله إلى الله عز وجل. فتوكل على الحي الذي لا يموت، وفَوِّض أمرك إليه، وارضَ بما قسمه لك تعش مطمئنًا في دنياك، منعمًا في آخراك.

واعلم أن الحوقلة إنما هي لجوء إلى الله، وإيمان بقدَره سبحانه، وحُسن توكل عليه وتسليمٌ لقضائه، وقد يظن البعض أنها كلمة تقال عند المصيبة؛ فكثيرًا ما يُقال عند المصيبة: لا حول ولا قوة إلا بالله. والصحيح أن يُقال عند المصيبة ما قاله الله تعالى في شأن الصابرين: «ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ» (البقرة: ١٥٦)، كما أن الشيطان يَصرف البعض عن النطق بها إلى «يا حول الله»؛ فيضيع معناها، وتكون مجرد كلمة تمر على اللسان، لا يتحرك بها القلب؛ لأنه لا يعرف معناها لينطق بها النطق الصحيح. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

الحلقة الثانية

سُورَة لُقْمَان

سُورَة لُقْمَان

سُورَة لُقْمَان

إعداد د. عبد العظيم بدوي

قال الله تعالى: « وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » **(لقمان: ٦- ٧).**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

تحريم الغناء:

« وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » (لقمان: ٦، ٧):

قَال الرَّازيّ عفَا الله عَنْهُ: لَمَّا بَيَّنَ سُبْحانَه وَتعَالَى أنَّ القُرْآن كتَابٌ حَكيمٌ، يَشْتَمل عَلَى آيَات حَكيمَة، بَيَّنَ منْ حَال الكُفَّار أَنَّهُمْ يَتْرُكُون ذَلكَ وَيَشْتَغلُون بغَيْره، ثُمَّ إنَّ فيه مَا يُبَيِّنُ سُوء صَنيعهمْ منْ وُجُوه:

الأَوَّلُ: أَنَّ تَرْكَ الحكْمَة وَالاشْتغَال بحَديث آخَر قَبيح.

الثَّانِي: هُو أَنَّ الحَديث إذَا كَانَ لَهْوًا لا فَائدَة فيه كَان أَقْبَح. (التفسير الكبير: ٢٥/١٤١و١٤٢).

وَلَهْو الحَديث: الأَحَاديث المُلْهيَة للْقُلوب، الصَّادَّة لهَا عَنْ أجَل مَطْلُوب. فَدَخَل في هَذا كُلّ كَلام مُحرَّم، وَكُلّ لَغْو، وَبَاطل، وَهَذَيَانٍ من الأَقْوَال المُرَغِّبَة في الكُفْر، وَالفُسُوق، وَالعصْيَان، وَمنْ أَقْوَال الرَّادِّين عَلَى الحَقّ، المُجَادلين بالبَاطل ليُدْحضُوا به الحَقّ، وَمنْ غيبَة، وَنميمَة، وَكَذب، وَشَتْم، وَسَبّ، وَمنْ غنَاء وَمَزَامير شَيْطَانٍ، وَمنْ الأَقْوَال المُلْهيَة الَّتي لا نَفْع فيهَا في دينٍ وَلا دُنْيَا. (تيسير الكريم الرحمن: ٦/١٥٠).

وَقيل: لَهْو الحَديث: هُو الغنَاء. قَال ابْن عَطيَّة رَحمَه الله: وَبهَذا فَسَّر ابْن مَسْعُود وَابْن عَبَّاس وَجَابر ابْن عَبْد الله رَضي الله عنهم وَمُجَاهدٌ رَحمَه الله، وَقَال الحسَن رَحمَه الله: لَهْو الحَديث المَعَازف والغنَاء. (المحرر الوجيز: ٤/٣٤٥).

قَال القُرْطُبيّ رَحمَه الله: وَذكَره أَبُو الفَرَج ابن الجَوْزيّ رَحمَه الله عَن الحسَن وَسَعيد بْن جُبَيْر وَقَتَادَة وَالنَّخَعيّ.

قَال القُرْطُبيّ رَحمَه الله:

وَالغِنَاء مَمْنُوعٌ بِالكِتَاب وَالسُّنَّة، وَهَذه إِحْدَى الآيَات الثَّلاث الَّتي اسْتَدَلَّ بِهَا العُلَمَاء عَلَى كَرَاهَة الغِنَاء وَالمَنْع منه. وَحَلَفَ عَلَى ذَلكَ ابْن مَسْعُود رَضي الله عنه بِالله الَّذي لا إِلَه إِلَّا هُوَ- ثَلاثَ مَرَّات- إِنَّه الغِنَاء. رَوَى سَعيد بْن جُبَيْر رَحمه الله عَنْ أَبي الصَّهْبَاء البَكْرِيّ قَالَ: سُئِلَ ابْن مَسْعُود رَضي الله عنه عَنْ قَوْله تَعَالَى: «وَمِنَ النَّاس مَن يَشْتَري لَهْوَ الحَديث» فَقَالَ: الغِنَاء وَالله الَّذي لا إِلَه إِلَّا هُوَ، يُرَدِّدُهَا ثَلاثَ مَرَّات.

وَالآيَة الثَّانِيَة: قَوْله تَعَالَى: «أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ» (النجم: ٥٩-٦١) قَال ابْن عَبَّاس رَضي الله عنه: هُو الغِنَاء بِالحِمْيَرِيَّة، اسْمُدي لَنَا، أَيْ غَنِّي لَنَا.

وَالآيَة الثَّالثَة: قَوْله تَعَالَى: «وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ» (الإسراء ٦٤) قَال مُجَاهِدٌ رَحمَه الله: الغِنَاء وَالمَزَامِير.

وَقَدْ أَطَال القُرْطُبِيّ رَحمَه الله الكَلام فيمَا يَتَعَلَّق بِالغِنَاء، فَرَاجِعْه إِنْ شِئْت، وَكَذَلكَ ابْن القَيِّم في «إِغَاثَة اللَّهْفَان»، وَالآلُوسِيّ في «رُوح المَعَاني» (الجامع لأحكام القرآن: ١٤/٥١-٥٦، إغاثة اللهفان: ١/٢٢٤-٢٦٧، روح المعاني: ٢١/٦٧-٨٠).

فَعَلَى القَوْل بِأَنَّ المُرَاد الغِنَاء فَشِرَاؤُه وَاضِح، فَآلات الغِنَاء كُلُّهَا تُشْتَرَى، وَالمُغَنُّون وَالمُغَنِّيَات يُسْتَأْجَرُون بِالأَمْوَال لِلْغِنَاء، وَكَذَلكَ تُبَاع أَصْوَاتُهُمْ هُنَا وَهُنَاك.

وَعَلَى القَوْل الأَوَّل بِأَنَّ لَهْو الحَديث كُلّ مَا أَلْهَى عَنْ ذِكْر الله وَعَن الصَّلاة، فَشِرَاؤُه مِنْ بَاب قَوْله تَعَالَى: «أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ» (البقرة ١٧٥)، فَالشِّرَاء في العُرْف هُو اسْتِبْدَال شَيْءٍ بِشَيْء، وَدَفْع شَيْءٍ عِوَضًا عَنْ شَيْءٍ، وَأُولَئكَ النَّاس أَعْرَضُوا عَنْ آيَات الكِتَاب الحَكيم، وَأَقْبَلُوا عَلَى اللَّهْو، فَكَأَنَّهُم اسْتَبْدَلُوا وَبَاعُوا. «فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ» (البقرة: ١٦).

وَأَمَّا قَوْله تَعَالَى: «لِيُضِلَّ عَن سَبيل الله بِغَيْر عِلْم وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا» فَهُو تَفْسِيرٌ وَبَيَانٌ لِلْعِلَّة الَّتي مِنْ أَجْلهَا يَشْتَري هَذَا الفَريق مِن النَّاس لَهْو الحَديث، فَهُو يَشْتَريه «لِيُضِلَّ» أَيْ لِيَصُدّ «عَن سَبيل الله» أَيْ دِين الله وَطَاعَته، وَمَا يُقَرِّب إِلَيه مِنْ قِرَاءَة قُرْآن وَذِكْر الله وَغَيْر ذَلكَ مِن القُرُبَات. (جامع البيان: ٢١/٦٣).

«بِغَيْر عِلْم» أَيْ بِحَال مَا يَشْتَريه، أَوْ بِالتِّجَارَة، حَيْثُ اسْتَبْدَل الشَّرّ البَحْت بِالخَيْر المَحْض، «وَيَتَّخِذَهَا» بِالنَّصْب عَطْفًا عَلَى يُضِلّ، وَالضَّمير لِلسَّبِيل، فَإِنَّه مِمَّا يُذَكَّر وَيُؤَنَّث، وَهُو دِين الإِسْلام، أَو القُرْآن، أَيْ «وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا» أَيْ مَهْزُوًّا بِه (إرشاد العقل السليم: ٥/١٨٦)، فَهُو جَاهِلٌ مَحْجُوبٌ، لا يَتَصَرَّف عَنْ عِلْم، وَلا يَرْمي عَنْ حِكْمَة، وَهُو سَيِّئ النِّيَّة وَالغَايَة، يُريد لِيُضِلَّ عَن سَبيل الله، يُضِلّ نَفْسه وَيُضِلّ غَيْرَه بِهَذَا اللَّهْو الَّذي يُنْفق فيه الحَيَاة. وَهُو سَيِّئ الأَدَب، يَتَّخِذ سَبيل الله هُزُوًا، وَيَسْخَر مِن المَنْهَج الَّذي رَسَمَه الله لِلْحَيَاة وَلِلنَّاس (في ظلال القرآن: ٦/٤٧٨و٤٧٩).

وَهَكَذَا كَان المُشْرِكُون حَريصين عَلَى الصَّدّ عَنْ سَبيل الله، وَعَن القُرْآن الكَريم، وَتَوَاصَوْا بِذَلكَ. قَال تَعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ» (فصلت: ٢٦)، وَقَال تَعَالَى: «وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً» (الأنفال ٣٥) عَنْ ابْن عَبَّاس رَضي الله عنه قَالَ: كَانَتْ قُرَيْش تَطُوف بِالبَيْت عُرَاةً، تَصْفِر وَتُصَفِّق، وَالمُكَاء الصَّفِير، وَالتَّصْدِيَة التَّصْفِيق.

قَال مُجَاهِدُ رَحمَه الله: وَإِنَّمَا كَانُوا يَصْنَعُون ذَلكَ لِيَخْلِطُوا بِذَلكَ عَلَى النَّبيّ صَلَّى الله عَليه وَسَلم صَلاتَه. وَقَال الزُّهْرِيّ رَحمَه الله: يَسْتَهْزِئُون

بِالْمُؤْمِنِين. وَعَنْ سَعيد بْن جُبَيْر وَعَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد رَحمَهُمَا الله: «وَتَصْدِيَةً» قَالَ: صَدُّهُم النَّاس عَنْ سَبِيل الله عز وجل (تفسير القرآن العظيم: ٢/٣٠٦و٣٠٧).

وَقَدْ تَوعَّدَهُم الله تَعَالَى عَلَى سُوء صَنيعِهِمْ، وَقَبيح فعْلِهِمْ، فَقَالَ: «أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٦» لأَنَّهُم اسْتَهَانُوا بِآيَاتَ الله، وَاتَّخَذُوهَا هُزُوًا، وَالجَزَاء مِنْ جِنْس العَمَل.

«وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» (لقمان: ٧):

جُمْلَة «أولئك لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ٦» مُعْتَرِضَةٌ بَين الجُمْلَتَين: جُمْلَة «مَن يَشْتَري»، وَجُمْلَة «وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْه آيَاتُنَا»، فَهَذَا عَطْفٌ عَلَى جُمْلَة «مَن يَشْتَري»، وَالتَّقْدِيرُ: وَمن النَّاس مَنْ يَشْتَري الخ، وإذا تُتْلَى عَلَيْه آيَاتُنَا ولَى مُسْتَكْبِرًا، فَالمَوْصُول وَاحِدٌ، وَلَه صلَتَان: اشْتَرَاء لَهْوِ الحَدِيث للضَّلَال، والاسْتكْبَار عنْد مَا تُتْلَى عَلَيْه آيات القُرآن.

وَدَلَّ قَوْلُه: «تُتْلَى عَلَيْه» أَنَّه يُوَاجَه بتَبْليغ القُرآن وَإسْمَاعه. وَقَوْلُهُ: «وَلَّى» تَمْثيلٌ للإعْرَاض عَنْ آيَات الله، كَقَوْله تَعَالَى: «ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ» (النازعات: ٢٢).

و«مُسْتَكْبِرًا» حَالٌ، أَيْ هُو إعْرَاض اسْتكْبَار، لا إعْرَاض تَفْرِيطِ فِي الخَيْر فَحَسْب.

وَشُبِّه فِي ذَلك بِالَّذي لَا يَسْمَع الآيَات الَّتي تُتْلَى عَلَيْه، وَوَجْه الشَّبَه هُو عَدَم التَّأثُّر وَلَوْ تَأَثُّرًا يَعْقُبُه إعْرَاض، كَتَأَثُّر الوَليد بْن المُغيرَة. وَكَرَّر التَّشْبيه لتَقْويَته مَع اخْتلَاف الكَيْفيَّة، فِي أَنَّ عَدَم السَّمْع مَرَّةً مَع تَمَكُّن آلَة السَّمْع، وَمَرَّةً مَع انْعدام قُوَّة آلَته، فَشُبِّه ثَانيًا بِمَنْ فِي أُذُنَيْه وَقْرٌ، وَهُو أَخَصّ مِنْ مَعْنَى كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، وَالوَقْرُ: أَصْلُه الثِّقَل، وَشَاع فِي الصَّمَم مَجَازًا مَشْهُورًا سَاوَى الحَقيقَة. (التحرير والتنوير: ٢١/١٤٤).

وَفيه رَمْزٌ إلَى أَنَّ مَنْ سَمعَهَا لَا يُتَصَوَّر مِنْه التَّوْليَة وَالاسْتكْبَار، لمَا فيهَا من الأُمُور المُوجبَة للإقْبَال عَلَيْهَا وَالخُضُوع لَهَا (روح المعاني: ٢١/٨٠).

وَقد تَضَمَّنَتْ هَذه الآيَة ذَمّ المُشْتَري منْ وُجُوه: التَّوْليَة عَن الحكْمَة، ثُمّ الاسْتكْبَار، ثُمّ عَدَم الالْتفَات إلَى سَمَاعهَا، كَأَنَّه غَافلٌ عَنْهَا، ثُمّ الإيغَال فِي الإعْرَاض بكَوْن أُذُنَيْه كَأَنَّ فيهمَا صَمَمًا يَصُدُّه عَن السَّمَاع (البحر المحيط: ٧/١٨٤).

ثُمّ أَمَر الله تَعَالَى رَسُولَه صلى الله عليه وسلم أَنْ يُبَشِّر هَذَا المُعْرض عَنْ آيَات الكتَاب الحَكيم بعَذَاب أَليم، فَقَالَ: «فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧» وَهَذه لَيْسَتْ بشَارَةً، وَلَكنَّه التَّهَكُّم وَالاسْتهْزَاء وَالسُّخْريَة، كَمَا اتَّخَذ آيَات الله هُزُوًا.

وَقَدْ كَثُر فِي القُرْآن الكَريم وَعيد الَّذين كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبيل الله:

قَال تَعَالَى: «الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ» (محمد: ١)، وَقَال تَعَالَى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ» (محمد: ٣٢)، وَقَال تَعَالَى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ» (الأنفال: ٣٦)، وَقَال تَعَالَى: «الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ» (النحل: ٨٨)، وَقَال تَعَالَى: «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ» (الأنعام: ١٥٧).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

من بلاغة القرآن الكريم

اختلاف القراءات وتنوعها

إعداد **د. عبد الرحمن فودة**
أستاذ البلاغة جامعة القاهرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد بينا في المقال السابق أهمية القراءات القرآنية، وأن اختلاف القراءات وتنوعها ما هو إلا نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز وغاية الاختصار وجمال الإيجاز، وأن الاختلاف في الرسم والقراءة هو اختلاف تنوع يثري المعاني ويُكثرها ويوضح بلاغة الذكر الحكيم.

وما زلنا عند الفروق بين روايتي عاصم برواية حفص عنه وقراءة نافع برواية ورش عنه من حيث العدد (الإفراد والجمع).

قال تعالى: «بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ» (البقرة: ٨١).

فيها قراءتان (خطيئته) على الإفراد، و(خطيئاته) على الجمع (للمؤنث السالم). فوجه قراءة الجمع أنه محمول على معنى الإحاطة، والإحاطة لا تكون للشيء المفرد، وانما تكون بكثرة المحيط، وعليه فيدخل تحته كل كاسب للسيئة محيط به خطاياه لما يتضمنه معنى الشرط وهو قوله «مَن كَسَبَ سَيِّئَةَ»، والمعنى: بلى من كسب شركًا، وأحاطت به ذنوبه، فأحبطت أعماله (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)؛ فلما كانت الذنوب كثيرة جاء اللفظ مطابقًا للمعنى.

أو أن المراد من (الخطيئات) أنواع الكفر المتجددة في كل وقت.

ووجه قراءة الإفراد إما لبيان الجنس، ومقابلة السيئة؛ لأن السيئة مفردة، أو على أن المراد بالخطيئة الشرك والكفر، ويكون المعنى: وأحاطت به خطيئته؛ أي غمرته من كل جانب حتى صار كالمحاط بها، وهذا الأمر لا يتصور في غير الكافر؛ إذ إن مذهب أهل السنة أن مرتكب الكبيرة لا يخلد في النار. ولذا فقد فُسِّرت الخطيئة بالشرك.

ويمكن الجمع بين القراءتين على أن قراءة الإفراد (خطيئته) محمول على لفظ السيئة لكونها مفردة، والجمع (خطيئاته) محمول على المعنى أي معنى (من) في قوله (بلى من كسب سيئة)؛ لأنها تدل على

العموم عموم الناس ولكل خطيئة، وبذا فالعلاقة بين قراءة الجمع والتفسير يمكن أن يُفهم منها خلود مرتكب الكبيرة في النار كما يرى ذلك المعتزلة فجاءت قراءة الإفراد فأفادت أن المقصود الشرك فهو خطيئة واحدة.

ولعل الأنسب حمل القراءتين على أنهما في الكفار خاصة، وتكون السيئة بمعنى الشرك.

ويمكن التوجيه على أنه لما كانت الذنوب كثيرة جاء اللفظ مطلقًا للمعنى (أي جمعًا)، وأيضًا لأن الإحاطة لا تكون للشيء المفرد. وحجة من أفرد أن الخطيئة الشرك، فوحدوه على هذا المعنى، وتكون السيئة الذنوب، وهي بمعنى السيئات، ويجوز أن تكون الخطيئة في معنى الجمع، ولكن وحدت كما وحدت السيئة، وهي بمعنى الجمع فتكون كالقراءة بالجمع في المعنى. والأولى حمل الألفاظ على العموم والجمع بين قراءة الإفراد (خطيئته) وقراءة الجمع (خطيئاته)؛ لأن الإنسان لا تخلو حياته من خطيئات لكن أشدها خطرًا عليه هي خطيئة الشرك، والله أعلم.

قال تعالى « وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ » (البقرة: ١٨٤).

رواية حفص بإفراد (مسكين) وتنوين (فدية) ورفع (طعام) على البدل من (فدية)؛ أما رواية (ورش) ففيها (مساكين) على الجمع، وإضافة (فدية) وخفض (طعام).

والفرق بين الروايتين أن قراءة الجمع (مساكين) لأن الذين (يطيقونه) جمع، فهم: المرأة العجوز والشيخ الفاني، والمرأة الحامل والمرضع ومن يعمل عملاً شاقًا لا يستطيع معه الصيام... إلخ، فلما كان كل واحد منهم عليه إطعام مسكين مقابل كل يوم أفطره فكأنهم جماعة عليهم أن يفطروا جماعة من المساكين.

أو أن المراد: أن الذي يطيق الصيام عليه فدية طعام مساكين عن الشهر إذا أفطر الشهر كله أو أكثره. ولعل القراءة بإضافة (طعام) إلى (فدية) تبين أن الفدية من الطعام لا من غيره، فالمعنى: على الذين يقدرون على الصيام بمشقة أن يفطروا في نهار رمضان وأن يطعموا مساكين عن الأيام التي أفطروها.

وحجة من اختار الجمع (مساكين) أن الله تعالى ذكر في آيات الصيام (أيام معدودات) ليعرف عباده حكم من أفطر الأيام التي كتب عليه صومها أن يطعم مساكين بعدد هذه الأيام.

وتخرج قراءة الجمع في (مساكين) لما كان الذي يطيقونه جمعًا، وكل واحد منهم يلزمه مسكين فجمع لفظه.

أما (مسكين) على الإفراد، فذلك لمراعاة إفادة العموم؛ لأنه مفرد نكرة يدل على الجمع، والمعنى: على كل واحد ممن يطيق صيام رمضان إذا أفطر، أن يطعم مسكينًا عن كل يوم يفطره، ونظيره قول الله تعالى: « وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً » (النور: ٤).

فالمعلوم أن كل واحد ممن يرمي المحصنات يُجْلَد ثمانين جلدة، وليس المقصود أن توزع الجلدات الثمانون على هؤلاء القاذفين للمحصنات.

والإفراد (رواية حفص عن عاصم) وفيها تنوين (فدية) لتفيد أن (طعام) بدل من (فدية)، ويكون المعنى أن الله عز وجل بين نوع الفدية، فتكون من أي نوع من الطعام أو من غيره مما هو قيمة الطعام. وعلى هذا يكون الحكم: لكل يوم يفطر فيه المفطر إطعام مسكين عن ذلك اليوم.

وقال القرطبي عن قراءة المفرد: «وهي قراءة حسنة لأنها بينت الحكم في اليوم.. فتبين أن لكل يوم إطعام واحد، فالواحد مترجم عن الجميع، وليس الجميع بمترجم عن الواحد، وجمع المساكين لا يُدرى كم منهم في اليوم إلا من غير الآية». يستخلص من هذا أن الإفراد يدل على وجوب دفع الفدية لمسكين واحد عن كل يوم، وأن الجمع يدل على صحة دفع

الفدية لمسكين أو لجماعة من المساكين. فيجب حملها على تعدد الفدية بتعدد الأيام.

وفائدة تعدد القراءات أن قراءة الإفراد دلت على وجوب دفع الفدية للمسكين، وربما توهم أنه لا يصح توزيع الفديات إذا تعددت الأيام إلا على مسكين واحد، فأخبرت قراءة الجمع أن دفع الفديات يصح إلى مسكين واحد، ويصح إلى جماعة المساكين. فرُب مسكين لا تندفع غائلة الجوع عنده بعطية، فتواصل إعطاءه أيامًا.

وقراءة الجمع رد على ما قبله؛ لأن ما قبله جمع وهو قوله: «وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ» فكل واحد من هؤلاء يلزمه إذا أفطر أن يطعم مسكينًا، فالذي يلزمهم جميعًا إذا أفطروا أن يطعموا مساكين كثيرين عن كل يوم أفطروه.

و(فدية طعام) خص فدية بإضافتها إلى جنسها، كقولنا (خاتم حديد)، وبأنه سمي الطعام الذي يفدي به الصيام ثم إضافة إلى طعام وهو بعضه؛ فهو من باب إضافة البعض إلى الكل.

قال تعالى: «قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ» (يوسف: ١٠).

غيابة- غيابات.

فهي على الإفراد تعني (غور) وما غاب منه، فأظلم من أسفله، وذكر الرازي أن التعبير بالغيابة يرجع إلى أنهم لا يريدون إلقاءه في أي موضع من الجب فحسب، وإنما يريدون موضعًا من الجب لا تطلع عليه أعين الناظرين؛ أي إلقاؤه في موضع مظلم.

وأما قراءة الجمع (غيابات) فتحمل بين طياتها شحنة دفينة من الحقد المتراكم عبر السنين.

إذ كان المقصود ليس إلقاء يوسف عليه السلام في مكان أو أماكن، وإنما المقصود المبالغة الشديدة في التخلص منه عليه السلام، فجاءت قراءة (غيابات) للدلالة على أنهم قصدوا أن يلقوه في ظلمات حتى لا يرى.

كذلك الشأن في قصة يونس عليه السلام: «وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» (الأنبياء: ٨٧)، حيث كان في ظلمات ثلاث: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، فلعلهم قصدوا- أي إخوة يوسف- أن يلقوه في غيابة هي في حد ذاتها غيابات، فهو جُبّ (بئر عميقة) وفي مكان بحيث ينظر الناظر فلا يرى إلا ظلامًا دامسًا فيتحقق لهم ما كانوا يرجونه من التخلص من أخيهم فلا يستطيع أحد إنقاذه من هذه الغيابة المشتملة على غيابات في ذاتها. وبهذا يمكن الجمع بين القراءتين: الإفراد (غيابة) والجمع (غيابات). والله أعلم.

كل نفس ذائقة الموت

مجلس إدارة المركز العام لأنصار السنة المحمدية بمصر والعاملون به، وأسرة مجلة التوحيد، يتقدمون بخالص التعازي والمواساة لأسرة الأستاذ جمال سعد حاتم، في فقيدهم، سائلين الله له الفردوس الأعلى، وأن يربط على قلب أهله، وأن يأجرهم في مصابهم.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

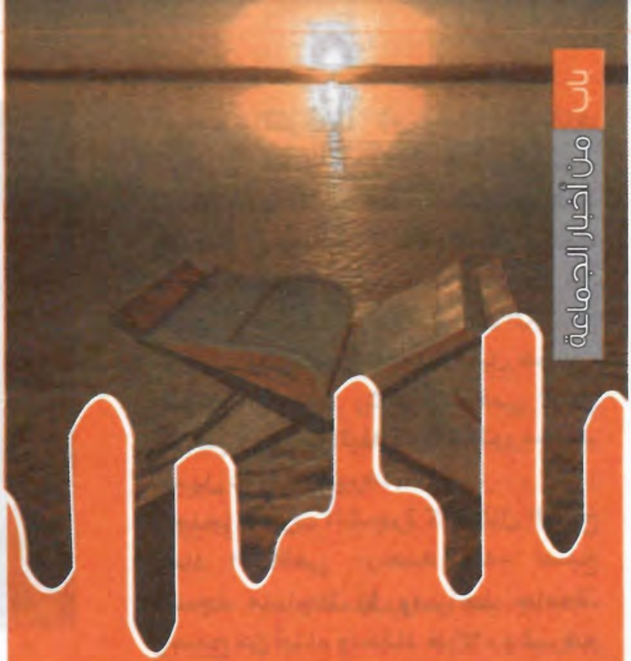

نشأة أنصار السنة المحمدية بمنشأة البكاري

إعداد **الشيخ إبراهيم حافظ رزق**
مدرس القرآن الكريم
بالأزهر الشريف - بالمعاش

الحمدُ لله القائل: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ) (سورة فصلت: ٣٣)، والصلاة والسلام على خير الأنبياء وسيدِ المرسلين القائل: (لا تَزالُ طائفَةٌ من أُمَّتي ظاهرِينَ على الحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حتَّى يَأْتِيَ أمْرُ اللهِ) صحيح مسلم.

وبعد: فإن الكثير اليوم لا يعرف جهود أنصار السنة المحمدية في الدعوة إلى الله -تعالى-، خاصة الشباب، فإن الكثير منهم لا يعرف حقيقة دعوتها ولا رجالها الأوائل الذين قامت على أكتافهم الدعوة المباركة التي انتشرت في ربوع البلاد.

ومن هذه البلاد: منشأة البكاري بالهرم، حيث انتشرت بها البدع والخرافات، والتي كان من أخطرها إقامة الموالد، ودعاء الموتى ممن يقال لهم: الأولياء، وشد الرحال إلى قبورِهم تبركًا ودعاءً، واستغاثة بهم، فضلاً عن بدع المأتم من النياحة وشق الجيوب ولطم الخدود، إلى غير ذلك من البدع.

ومع انشقاق فجر الدعوة بالمركز العام لأنصار السنة المحمدية، قبل ما يقرب من مائة عام، كان لمنشأة البكاري الحظ الأوفر؛ حيث وفق الله رجالاً من أبنائها لحمل هذه الدعوة إلى بلدتهم، بالرغم

من كثرة مشاغلهم وقلة ذات اليد وقتها، فكان الشيخ رزق حافظ الزيدي، وأخوه الشيخ محمد حافظ الزيدي، والشيخ رماح صالح حجازي والشيخ أبو سريع الفقي، والشيخ حلمي همام الدالي، والشيخ يوسف عبد المجيد سلمان، والد الرئيس العام الحالي للجماعة، رحمهم الله جميعًا، وكان لعُمدة البلدة وقتها - الحاج محمد أبو النور الدالي- دور بارز معهم لانتشار هذه الدعوة، حيث كان يعقد المناظرات بينهم وبين مخالفيهم، وتتضح الحقيقة ويظهر الله الحق.

وقد تكبَّد هؤلاء الرجال جهدًا كبيرًا في إبلاغ هذه الدعوة، وتعرَّضوا للإيذاء باللسان بين قائل: وهابيون، وقائل: يكرهون الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته، وقائل: يُحرمون كذا وكذا زورًا وبهتانًا، بل زاد الإيذاء من الكلام إلى الضرب أحيانًا، والقذف بالحجارة أحيانًا أخرى، ويأبى الله إلا أن يُتم نوره.

ولم يكن بالبلدة وقتها إلا مسجد واحد لا مجال لدعوتهم فيه، إلى أن فتح الله عليهم بقطعة أرض أقاموا عليها سورًا وفرشوها بقش الأرز وأطلقوا عليها مسجد التوحيد (مسجد التوحيد البحري حاليًا)، وكان هذا المسجد نقطة الانطلاق، فقد استقبلوا فيه مؤسس الجماعة الإمام الشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله- وإخوانه من الدعاة والعلماء، كالعلامة عبد الرحمن الوكيل، والدكتور محمد خليل هراس، والشيخ المجاهد رشاد الشافعي الذي كان شبه مُقيم بالبلدة، والدكتور محمد جميل غازي، وغيرهم الكثير.

وبعدما أثمرت الشجرة كما قال الشيخ رشاد الشافعي -رحمه الله- أصبح المسجد مساجد، بل ومساجد جامعة، وأصبح من أبناء وأحفاد هؤلاء وغيرهم حفظة للقرآن، ومحفظون بالمعاهد الأزهرية، بل وفي بعض دول العالم، ومن الدعاة العاملين بالأوقاف من خريجي كليات الأزهر الشريف، الذين تولوا الدعوة في مساجد البلدة المباركة.

وصار اسم أنصار السنة المحمدية بمنشأة البكاري يعرفه الجميع بفضل الله، فكفالات الأيتام، ومساعدة المحتاجين شهريًا، فضلاً عن المساعدات الموسمية في الأعياد وغيرها. رفعت عن المحتاجين من الفقراء والمساكين كثيرًا من المعاناة، وللجمعية مقابر، وسيارة نقل الموتى تعمل دون مقابل، ومطبخ يقوم على إفطار الصائمين لما يزيد على ثلاثمائة أسرة يوميًا طوال شهر رمضان، ولها أيضًا محطة تحلية مياه مجانية ينتفع بها خلق كثير، فضلاً عن دور رجال الجمعية في المجالس العرفية، والإصلاح بين الناس، وغير ذلك من أعمال الخير.

وختامًا نصيحتي للعاملين بهذه الجمعية المباركة أن يُخلصوا في أعمالهم، وأن يدركوا أنهم قدوة يتأسى الناس بهم.

والحمدُ لله رب العالمين.

حقوق الطفل التربوية في مرحلة التمييز

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد .. فمما لا شك فيه أن السنوات الأولى من عمر الطفل هي أهم مراحل حياته الحرجة، ذلك أن الطفل مخلوق عاجز عن معرفة ما يضره وما ينفعه، كما أنه عاجز عن التمييز بين الأشياء الصالحة وغير الصالحة، لذلك جعل الإسلام حق الطفل على والديه والقائمين على أمره في تربيته وتنشئته على الحق والهدى، وتوجيهه الوجهة الصحيحة السليمة في العقائد والعبادات والسلوك والأخلاق.

إعداد **الشيخ/عادل شوشة**

فالتربية الإسلامية تعني صيانة الإنسان وصلاحه وتقويمه منذ نشأته وحتى نهايته، وذلك وفق تعاليم وتوجيهات الشريعة الإسلامية.

فعلى الآباء ربط الولد منذ تعقله بأصول الإيمان، وتعويده منذ تفهمه أركان الإسلام، وتعليمه من حين تمييزه مبادئ الشريعة الغراء وتدريبه على الطاعات منذ الصغر والحرص على تأديبه بسائر الآداب الإسلامية.

ذلك أن الإيمان بالله تعالى ومعرفته مبادئ الدين الأولية وآدابه هو أساس إصلاح الطفل، وملاك تربيته الخلقية وتقويم اعوجاجه، فيزن كل تصرف يصدر منه بميزان الإسلام، فما وافقه استمر فيه، وما ضاده ابتعد عنه واجتنبه (حقوق الطفل في الإسلام والاتفاقيات الدولية دراسة مقارنة إعداد سمر خليل محمود عبد الله صـ١٣١.

أهمية التربية؟

- أنها سبب في دخول الجنة والنجاة من النار بإذن الله.
- أنها عبادةٌ عظيمةٌ ومُتعة ولذَّة في الحياة الدنيا.
- أنها عملٌ بالأسباب المشروعة ونحن مطالبون بذلك بل إنه فرضُ عينٍ على وليهم.

- أن الأمة تحتاج إلى شبابها.
- أننا بحاجة إلى أبنائنا في الدنيا والآخرة.
- أن الولد الصالح هو واحد مما يبقى للإنسان بعد الموت.
- أن أطفال اليوم هم رجالُ الغد.
- أن الأبناء يُولدون على الفطرة وللتربية الأثر الأكبر في ثبات الفطرة أو فسادها.
- أن الأبناء يحتاجون للتربية الصحيحة في بداية حياتهم.
- أن وصيَة الله للآباء بأولادهم سابقةٌ وصية الأولاد بآبائهم.
- أنها مسؤوليةٌ يُحاسب الله الآباء عليها.
- أن أغلب المشكلات في مراحل العمر المتقدمة سببُها التهاونُ في التربية في الصِغر.
- أن الأولاد زينة الحياة الدنيا.
- أن تربية الأبناء بركةٌ لوالديهم ومجتمعاتهم.
- أن من حق الأبناءِ على الآباء أن يعيشوا حياةً طيبةَ، والتربيةُ السليمة سببٌ في ذلك بإذن الله.
- أننا مطالبون بمواجهة التحديات بتربية مُتوازنة صحيحة (انظر: المنهاج النبوي في تربية الأطفال جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود،الباحث في القرآن والسنة،الطبعة الأولى٢٠٠٩ م-١٤٣٠ هـ ماليزيا، «بهانج- دار المعمور» صـ٤).

أهمية الإخلاص في التربية:

أيها المربي الفاضل، إننا معاشر المربين نتعبد الله في التربية، إنا نربي لله، ومن أجل مرضاته، ومن أجل إيجاد جيل تتم به الخلافة في الأرض، ينفع نفسه، وأسرته، وأمته، وليس من أجل أن يقال: ابن فلان، ذو خلق عال أو مرتبة رفيعة فتربيتنا تقوم على أساسين: الاخلاص لله، والمتابعة لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقة التربية.

أهمية الاحتساب في التربية

المسلم مأمور أن يحتسب في جميع أعماله الدينية والدنيوية، ومن أفضل وأهم الأعمال التي يتقرب بها إلى الله أمر التربية فلا بد أن تحتسب أيها المربي، وتصبر، وتصابر على كل ما تلاقي في هذه المهمة المضنية.. فالتربية شاقة لا راحة معها، وطويلة لا انتهاء لها، ومكلفة لا شحاحة فيها، أخي المربي استصحب النية في جميع أمور التربية حتى تؤجر عليها في النفقة، والتعليم، والممازحة والمداعبة.

أيها المربي الفاضل: إذا علمت نتائج التربية السليمة من عظم الأجر، والمثوبة هانت عليك الصعاب حيث تقر بهم العيون في الحياة، وينفعون بعد الممات، ويكتب لك في ميزان حسناتك مثل أجور ما عملوا من الصالحات من بنين وبنات، فهل نستشعر ذلك؟ (كتاب وصايا تربوية في تربية الأبناء تأليف محمد عثمان محمد الفلاج صـ ٨.

الاستعانة بالله في تربية الأبناء:

فعلى الآباء أن يستعينوا بالله سبحانه في صلاح الأبناء، لأن الهادي هو الله والمهتدي من هداه الله، وهكذا كان أهل الفضل والصلاح يفعلون:- فزكريا عليه الصلاة والسلام يقول: «قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ » (آل عمران: ٣٨).

القيادة الوالدية:

تعد مهمة الوالدين في الأسرة من أهم المهام القيادية في حياة الإنسان، إذ تتطلب قدرًا من المعرفة والمهارة لتوجيه سلوكيات الأبناء واكتشاف نقاط القوة والتعامل مع نقاط الضعف بالإضافة إلى ما تُفضي إليه عملية النمو من تغييرات بيولوجية ونفسية، ومن هنا كان من الضروري أن يتعرف الآباء والأمهات على مفاهيم القيادة عامة وأن يتقنوا المهارات القيادية المساعدة في التأثير على الأبناء من أجل تحقيق أهداف عملية التربية.

ولا يمكن أن تعمل القيادة الوالدية بفاعلية من دون تنظيم، وهنا تبرز أهمية المهارات التنظيمية للآباء والأمهات، وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله: كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ (أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣١/٧) برقم: (٥٢٠٠)).

ويجب أن يحرص الوالدان على التمتع

بالمرونة العقلية في تقبل أفكار أبنائهم المتباينة والمتجددة، وكذلك القدرة على تطوير الأهداف التربوية بناء على التحليل والاستنتاج وتبعًا لمتطلبات الظروف والوقت.

فليس الهدف من القيادة الوالدية السيطرة والتحكم في عقول ونفسيات الأبناء وانما مساعدتهم على اكتشاف ذواتهم ورسم طريق قويم لمعاشهم في الحياة بما لا يتنافى مع عبوديتهم لله جل جلاله والعمل للآخرة، وعليه فلا يجب أن يكون الوالدان سيفًا مسلطا على رقاب أبنائهم ولا أن يرخيا لهم حبل القيادة ولكن التعامل الحازم مع اظهار الحب والمودة.

هذا هو الطريق الذي رسمه القرآن لرب الأسرة ليقوم بالأمانة التي حُملها فأمره أن يقوم بواجب حماية أسرته من عذاب الآخرة قال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ » (التحريم: ٦)

وهذا هو سر نجاح القيادة الوالدية:

- حزم وحذر كي لا تحمله محبتهم على طاعتهم فيما يضر أو في فعل المعصية فيفعلوا فيه فعل الأعداء.
- وفي ذات الوقت عفو وصفح يرحم به ضعفهم ويظهر به محبته ورأفته بهم.

أهمية الحكمة في تربية الأطفال

والحكمة ليست صفة واحد بل هي أصل الصفات فإذا تدبرنا وصية لقمان لابنه من خلال قوله تعالى: « وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ » (لقمان: ١٢)

والحكمة شاملة لسمات عديدة كالعلم، الحلم، والعدل والفقه في دين الله والعمل به، والفهم، والخشية، والورع، والإصابة في القول فنجد أن سمات الأب الناصح والموجه قد اكتملت فوصفه بالحكمة دل على اكتمال السمات.

أهمية القيادة بالحب والحنان والرحمة:

الحب والحنان والرحمة هو من أهم الحقوق التي افتقدها كثير من الأبناء في آبائهم، فالحب وحده -وهو أمر فطري في الآباء- لا يكفي؛ بل لا بد من سقايته بماء الحنان والرحمة فيترعرع الطفل وينشأ سوي النفس معتدل المزاج.

والعطف على الصغار يولد فيهم حب آبائهم والسير على منهاجهم وطريقتهم ويجنبهم مخاطر العقوق والتمرد.

واذا لم يشعر الطفل بهذه المحبة فسوف ينشأ محباً لنفسه فقط كارها لكل من حوله.

واذا وجد الحب تمت عملية التربية بسهولة لأن « المحب لمن يحبُ مطيع .

الرحمة بالأطفال لا تمنع من تأديبهم:

عن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلمَةَ قَالَ: كُنْتُ فِي حجْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكَانَتْ يَدي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي: يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ (أخرجه البخاري في « صحيحه » (٥٣٧٦)، ومسلم في « صحيحه » (٢٠٢٢).).

ومع شدة محبة النبي صلى الله عليه وسلم للحسن إلا أن ذلك لم يجعله يبيح له الحرام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَخَذَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كِخْ كِخْ. لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ (أخرجه البخاري في « صحيحه » (١٤٩١)، ومسلم في « صحيحه » (١٠٦٩).).

وبذلك يتبين أن أهم عناصر القيادة الوالدية حمل هم التربية والتوجيه مع مراعاة الرأفة والرحمة وإظهار الحب والمودة مع وجود نظام وحرص على تمكين الأولاد وادخالهم إلى عالم تحمل المسئولية ومراقبة الله جل جلاله بمراعاة الحلال والحرام في وقت مبكر (للاستزادة انظر: القيادة الوالدية مع دكتور إبراهيم الخليفي والأستاذ ياسر الحزيمي على منصة خطوة عبر الرابط التالي: https://youtu.be/cAsQn_uXxpsI).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خلق الحياء

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. أما بعد: فالحياء هو خلق الإسلام؛ فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ". رواه ابن ماجة (٤١٨١)، والطبراني في "الأوسط" (١٧٥٨) وصححه الألباني في "الصحيحة" (٩٤٠).

إعداد: م/محمد ياسين بدر حسين
رئيس فرع التل الكبير

والحياء من الإيمان؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان" متفق عليه.

وفقدان الحياء يؤدي إلى البذاءة والفحش؛ فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ مما أدركَ الناسُ من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحِ فاصنعْ ما شئْتَ". رواه البخاري.

- قال أبو تمام الطائي:

إذا لم تخشَ عاقبةَ الليالي
ولم تَستحْ فَاصْنعْ ما تَشاءُ
فلا واللهِ ما في العَيْشِ خيرٌ
ولا الدُّنيا إذا ذهَبَ الحَياءُ
يَعيشُ المرءُ ما استَحْيا بخيرٍ
ويَبْقَى العُودُ ما بَقِيَ اللِّحاءُ

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّه -صلَّى اللَّه علَيْه وسَلَّم-: "الحَياءُ لا يَأْتي إلاَّ بخَير". وفي رواية: "الحَياءُ خَيرٌ كُلُّهُ"، أو قال: "الحَياءُ كُلُّهُ خَيرٌ". (الرواية الأولى: متفق عليها. الرواية الثانية والثالثة: رواها مسلم).

فالحياء لم يمنع أم سليم من تعلم أمور دينها بالسؤال.. والحياء لم يمنع النبي صلى الله عليه وسلم من البيان.

وعن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: جاءت أمُّ سُلَيم امرأةُ أَبي طلحة إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالت: يا رسول الله، إنَّ الله لا يَسْتَحيِي من الحقِّ، فهل على المرأة من غُسْلٍ إذا هيَ احْتلمَت؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: نعم، إذا رأت الماء" متفق عليه.

ومن أنواع الحياء:

١- الحياء من الله

روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استحيوا من الله حق الحياء. قال: قلنا: يا رسول الله، إنا نستحي والحمد لله، قال: ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك استحيا من الله حق الحياء".

٢- الحياء من الملائكة

قال جل وعلا: «وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ⑩ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ⑪ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ» (الانفطار: ١٠-١٢)؛ قال ابن القيم -رحمه- الله في كتابه "الجواب الكافي" (ص٧٥): "أي استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام، وأكرموهم، وأجلوهم أن يروا منكم ما تستحيون أن يراكم عليه مَنْ هو مثلكم، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصي بين يديه، وإن كان قد يعمل مثل عمله، فما الظن بإيذاء الملائكة الكرام الكاتبين؟!".

٣- الحياء من الناس

عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: (لا خير فيمن لا يستحي من الناس).

وقال مجاهد: (لو أن المسلم لم يصب من أخيه إلا أن حياءه منه يمنعه من المعاصي لكفاه).

٤- الحياء من النفس

قال بعضهم: (من عمل في السر عملاً يستحيي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر).

رزقنا الله وإياكم خلق الحياء.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

غزوة بني قينقاع

إعداد: د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد: فما نزال في أحداث السنة الثانية من الهجرة، وموضوعنا في هذا العدد بعنوان: "غزوة بني قينقاع" فماذا حدث فيها؟ ومن هم؟ ولماذا ومتى أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم؟ وأين ذهبوا؟

أولاً: ملخص الحدث:

"وحاصل ذلك: أن رسول الله صلَى الله عليه وسلَم لما قدم المدينة وادعته يهود، وكتب بينه وبينهم كتابًا، وجعل بينه وبينهم أمانًا؛ فلما قدم من بدر بغت يهود، وقطعت ما كان بينها وبين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من العهد؛ فجمعهم، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، احْذَرُوا مِنَ اللهِ مِثْلَ مَا نَزَلَ بِقُرَيْشٍ مِنَ النِّقْمَةِ وَأَسْلِمُوا؛ فَإِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ أَنِّي نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، لا يَغُرَّنَّكَ أَنَّكَ لَقِيتَ قَوْمًا لا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ، فَأَصَبْتَ مِنْهُمْ فُرْصَةً، إِنَّا وَاللهِ لَئِنْ حَارَبْنَاكَ؛ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ (هذه الرواية أوردها ابن إسحق في سيرته، وقد أخرج الحديث أبو داود في سننه في كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة، وفي سنده محمد بن محمد مولى زيد بن ثابت، وهو مجهول كما ذكر الذهبي في تهذيب التهذيب (٣/٦٩٠)، وابن حجر في تقريب التهذيب(١/٨٩٤).).

وكان بنو قَيْنُقَاعَ أَوَّلَ يَهُودَ نَقَضُوا العَهْدَ. فسار إليهم رسول الله صلَى الله عليه وسلَم، وهم سبعمائة مقاتل، وهم حلفاء لعبد الله بن أبيّ بن سلول، وعبادة بن الصامت؛ فحاصرهم خمس عشرة ليلة حتى نزلوا على حكم رسول الله صلَى الله عليه وسلم، ثم خلى عنهم بشفاعة عبد الله بن أبي بن سلول، وأمرهم أن يجلوا من المدينة، وكان قد استخلف رسول الله صلَى الله عليه وسلَم في غزوة بني قينقاع على المدينة أبا لبابة ابن عبد المنذر، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه" (البداية والنهاية: ٥/٣١٨).

ثانيًا: ذكر الفوائد

الأولى: "قينقاع" نونها مثلثة -يجوز فيها الفتح والضم والكسر- والضم أشهر، وهو غير منصرف، وهم قَبيلَة مَعْرُوفَة من اليَهُود وهم

الَّذين كانُوا بالمدينَة. القاموس المحيط (٧٥٧).

الثانية: وهم قوم عبد الله بن سلام

كما في حديث ابْن عُمَر: "قالَ: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجْلى يَهُود المدينة كلَّهُمْ: بَني قَيْنُقاع، وَهُمْ رَهْطُ عَبْد الله بْن سَلاَمٍ." (البخاري ٤٠٢٨).

الثالثة: عَبْد الله بْن سَلاَم بْن الحارث، وكنيته أَبُو يُوسُف، وكَان حبرًا قبل أن يسلم، وكَان من بني إسْرائيل من ولد يُوسُف بْن يَعْقُوب بْن إسْحاق عَلَيْهم السَّلاَم. (الثقات لابن حبان: ٣/٢٢٨/٧٣٤).

الرابعة: في الخبر منقبة لعبد الله بن سلام رضي الله عنه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أجلى قومه فلم يرقّ لهم بل ثبت على دينه معاديًا لهم في الله تعالى ومناقبه كثيرة؛ منها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه "إنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجنَّة" (البخاري ٣٨١٢).

ومنها مسارعته إلى الإسلام دون قومه بني قينقاع، وتأمل حواره معهم أمام النبي صلى الله عليه وسلم

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: أَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إِلَى المَدِينَة... فذكر حديث الهجرة عند دخول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقال فيه: فَلَمَّا جَاءَ نَبِيُّ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ جَاءَ عَبْدُ اللَّه بْنُ سَلاَمٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّه، وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ، وَقَدْ عَلِمَتْ يَهُودُ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ، وَأَعْلَمُهُمْ وَابْنُ أَعْلَمِهِمْ، فَادْعُهُمْ فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ.

فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْه، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "يَا مَعْشَرَ اليَهُود، وَيْلَكُمْ، اتَّقُوا اللَّه، فَوَاللَّه الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ: أَنِّي رَسُولُ اللَّه حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ؛ فَأَسْلِمُوا". قَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ، قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، حتى قَالَهَا ثَلاَثَ مِرَارٍ، قَالَ: "فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّه بْنُ سَلاَمٍ؟" قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا، قَالَ: "أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟". قَالُوا: حَاشَى لِلَّه مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: "أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟" قَالُوا: حَاشَى لِلَّه مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: "أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟". قَالُوا: حَاشَى لِلَّه مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: "يَا ابْنَ سَلاَمٍ اخْرُجْ عَلَيْهِمْ". فَخَرَجَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ اليَهُود اتَّقُوا اللَّه، فَوَاللَّه الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّه، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ، فَقَالُوا: كَذَبْتَ، فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ. (البخاري ٣٩١١).

وفي رواية قالوا " قَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَتَنَقَّصُوهُ، قَالَ: هَذَا كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّه" (البخاري ٣٩٣٨).

ولما جاء النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال عبد الله " فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ" (سنن الترمذي ٢٤٨٥).

الخامسة: القصة تبين أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان قد تعايش هو أصحابه مع اليهود في المدينة مع أن القيادة صارت إليه؛ ومن ذلك دخول الصحابة سوقهم، ومبايعتهم، ومعاملتهم؛ فالمسلمون أسوة بنبيهم صلى الله عليه وسلم يقبلون الآخرين، ويعيشون معهم، ولكنهم لا يقبلون الاعتداء عليهم وعلى أعراضهم؛ فهذا علي -رضي الله عنه- يقول: "وَاعَدْتُ رَجُلاً صَوَّاغًا في بَنِي قَيْنُقَاعَ أَنْ يَرْتَحِلَ مَعِي، فَنَأْتِيَ بِإِذْخِرٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ مِنَ الصَّوَّاغِينَ، فَنَسْتَعِينَ بِهِ في وَلِيمَةِ عُرْسِي" (البخاري ٤٠٠٣).

السادسة: إذا قلنا بأن المسلمين يتعايشون مع غيرهم فما سبب إخراجهم يهود بني قينقاع من المدينة؟

عرضنا فيما سلف لحقد يهود بني قينقاع على المسلمين لما انتصروا في غزوة بدر؛ فطفحت سريرتهم بهذا الرد الذي صرحوا فيه بإعلان الحرب على المسلمين، ومع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد وصله خبر فسادهم في المدينة وخشي خيانتهم إلا أنه مشى إليهم ونبذ إليهم عهدهم حالة ثبوت الخيانة عليهم، ولم يبادلهم بمثل صنيعهم من الغدر خفية، وهذا يُعلن بعظمة الإسلام وأحكامه وحسن تعايشه مع الآخرين.

وقد أَنْزَلَ الله تَعَالى في ذَلِكَ قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ

﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ » (آل عمران ١٢-١٣).

- ويجب أن يُفهم أن سبب جلاء بني قينقاع لا يعود إلى رفضهم قبول الإسلام؛ ففي هذه المرحلة كان الإسلام يقبل التعايش السلمي معهم، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يشترط على أحد من يهود أن يدخل في الإسلام مقابل بقائه في المدينة المنورة، وإنما يعود سبب الإجلاء إلى ما أظهروه من روح عدائية. انتهت إلى الإخلال بالأمن داخل المدينة المنورة. (السيرة للعمري ١/ ٣٠١).

موقف عبد الله بن أبي بن سلول ،وفيه بيان خطر النفاق

عن عاصم بن عمر بن قتادة "أن عبد الله ابن أبيّ بن سلول ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمكنه الله تعالى منهم؛ فقال: يا محمد! أحسن في موالي. فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أحسن في موالي فأعرض عنه؛ فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أرسلني؛ فقال: والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة إني لامرؤ أخشى الدوائر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هم لك" (سيرة ابن إسحاق) (قال د. أكرم ضياء العمري في كتابه السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة: " وعاصم من صغار التابعين، فالرواية ضعيفة حسب اصطلاح المحدثين، وهي مما يتساهل فيه من الأخبار").

موقف عبادة بن الصامت وبيان عظمة الإيمان:

عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، قال: "لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبث بأمرهم عبد الله بن أبيّ وقام دونهم فمشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد بني عوف بن الخزرج لهم من حلفهم مثل الذي لهم من حلف عبد الله بن أبي، فخلعهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتبرأ إلى الله وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلفهم، فقال: يا رسول الله أتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وأتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم، ففيه وفي عبد الله بن أبيّ نزلت الآيات في المائدة «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم»، إلى قوله: «فترى الذين في قلوبهم مرض» يعني عبد الله بن أبيّ لقوله إني أخشى الدوائر «يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة»، حتى بلغ قوله: «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لقول عبادة أتولى الله ورسوله والذين آمنوا» وتبريه من بني قينقاع وحلفهم وولايتهم إلى قوله: «ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون» (دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ١٧٤).

والفرق واضح بين عبد الله بن أبي الذي أشرب قلبه بالنفاق وبين عبادة بن الصامت الذي صقلته التربية المحمدية، وخلصته من آثار العصبية الجاهلية والأهواء والمصالح الشخصية، فنظر إلى مصلحة العقيدة وقدمها على مصالحه الخاصة، فكان مثالا للمؤمن الواعي الملتزم. (السيرة النبوية الصحيحة ١/ ٣٠٠، واللؤلؤ المكنون ٢/ ٥٢٥).

غنائم المسلمين من بني قينقاع

وغنم المسلمون ما كان لهم من مال، ولم تكن لهم أرضون ولا مزارع، إنما كانوا صاغة، ووجدوا في حصونهم آلة الصياغة، وسلاحا كثيرا؛ فقسمت الغنائم بين الصحابة بعد إخراج الخمس للرسول صلى الله عليه وسلم، وكان الذي ولي قبض أموالهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه. ورحل يهود بني قينقاع إلى أذرعات بالشام ولم يبقوا هناك طويلا حتى هلك أكثرهم. (فقه السيرة للغزالي، ص٢٤٨).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الإخاء الصادق

إعداد **الشيخ/ عبده أحمد الأقرع**
فرع إختاواي - غربية

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده؛ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛

أما بعد:

فإن رسالة الإسلام رسالة خير وبرٍّ وسلام، ومبادئه مبادئ عدل وحب ووئام، ويحث على التوادّ والتراحم، والترابط والتلاحم، ودلائل صدق هذه الرابطة، أن يشعر المسلم بإخوانه محققًا قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادّهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». متفق عليه.

والتألم الحق هو الذي يدفعك إلى كشف ضوائق إخوانك؛ فلا تهدأ حتى تزول الغمة، وتنكشف الظلمة، حينئذ يستنير وجهك، ويرتاح ضميرك، فإن فعلت تكن ممن عناهم الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث؛ أن تتألم لألمه، وتحزن لحزنه، وتعينه على دفع كُرَبه، أما موت العاطفة وقلة الاكتراث وكأنَّ الأمر لا يعني، فهو تنكُّر لهذه الإخوة، فضلاً عن أنه جفاء في الخلق، وجمود في الطبع، وأنانية، والأنانية آفة قاتلة، وإذا سيطرت على امرئ محقت خيره وزادت شره، وجعلته يعيش في دائرة نفسه، لا يعرف غيرها، ولا يفرح ولا يحزن إلا لما يصيبه في نفسه وحده، أما إخوانه وأصحاب الضوائق فلا يعرفهم.

أقول: وما أكثر نعم الله على عباده، وأعظم نعمة أنعم الله بها على هذه الأمة أن بعث فيها رسوله الكريم محمدًا صلى الله عليه وسلم، ليرشد إلى مكارم الأخلاق التي تحلى بها بشهادة الرب سبحانه «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» (القلم: ٤)، ومنها: خلق الإيثار؛ قال القرطبي رحمه الله: «الإيثار هو تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة». (الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٨)).

وهذا لا يكون إلا من خُلُق زكي، ومحبة لله تعالى، ومقدَّمة على شهوات النفس ولذاتها. فالمسلم متى رأى مجالاً للإيثار آثر غيره على نفسه، وفضَّله عليها، فقد يجوع ليُشبع غيره، ويعطش ليروي سواه.

وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في هذا الخلق العزيز في أيامنا هذه؛ فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أنَّ امْرَأَةً جاءَتِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بِبُرْدَةٍ مَنسُوجَةٍ، فيها حاشِيَتُها، وقالَتْ: نَسَجْتُها بيَدِي فَجِئْتُ لأَكْسُوَكَها، فأخَذَها النبيُّ صلى الله عليه وسلم مُحْتاجًا إلَيْها، فَخَرَجَ إلَيْنا وإنَّها إزارُهُ، فَحَسَّنَها فُلانٌ، فقالَ: اكْسُنِيها، ما أحْسَنَها، قال

القومُ: ما أحسنتَ، لبسها النبيُّ صلى الله عليه وسلم مُحتاجا إليها، ثم سألته، وعلمتَ أنه لا يرُدُّ، قال: إني والله، ما سألته لألبسه، إنما سألته لتكون كفني، قال سهل: فكانت كفنه. (صحيح البخاري: ١٢٧٧).

هذا مثل من أمثال اتصافه صلى الله عليه وسلم بهذا الخلق الكريم. فهل بعد هذا كرم يصدر من مخلوق؟ وهل وراء هذا الإيثار من إيثار؟

وإيثاره صلى الله عليه وسلم لأهل الصُّفَّة.

قال صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه: «يا أبا هرٍّ قلت: لبَّيك يا رسول الله، قال: خذ فأعطهم قال: فأخذتُ القدح، فجعلتُ أعطيه الرجل فيشربُ حتى يروى، ثم يردُّ عليَّ القدح، فأعطيه الرجل فيشربُ حتى يروى، ثم يردُّ عليَّ القدح فيشربُ حتى يروى، ثم يردُّ عليَّ القدح، حتى انتهيتُ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم وقد روي القومُ كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إليَّ فتبسَّم، فقال: أبا هرٍّ قلتُ: لبَّيك يا رسول الله، قال: بقيتُ أنا وأنت قلتُ: صدقتَ يا رسول الله، قال: اقعُدْ فاشرَبْ فقعدتُ فشربتُ، فقال: اشرَبْ فشربتُ، فما زال يقول: اشرَبْ حتى قلتُ: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلكا، قال: فأرني فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة". (صحيح البخاري: ٦٤٥٢).

وقد تأسى الصحابة الكرام برسول الله صلى الله عليه وسلم في الإيثار فأثنى الله عليهم وأنزل فيهم قرآنا.

فقال سبحانه: «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الحشر: ٩).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق، ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا، والذي بعثك بالحق، ما عندي إلا ماء، فقال: من يُضيف هذا الليلة؟ فقام رجلٌ من الأنصار، فقال: أنا، يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا إلا قوت صبياني، قال: فعلِّليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج، وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل، فقومي إلى السراج حتى تطفئيه، قال: فقعدوا وأكل الضيف، فلما أصبح غدا على النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقال: قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة، فأنزل الله: «وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» (الحشر: ٩). متفق عليه.

وهذا نوع آخر من الإيثار فريد من نوعه:

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: لما قدمنا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين سعد بن الربيع، فقال سعد بن الربيع: إني أكثر الأنصار مالا، فأقسم لك نصف مالي، وانظر أيَّ زوجتيَّ هويتَ نزلتُ لك عنها، فإذا حلَّت، تزوجتها، قال: فقال له عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك هل من سوق فيه تجارة؟ (البخاري: ٢٠٨٤).

وهذا نوع آخر من الإيثار الدالّ على الزهد وإيثار ما عند الله.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار، فجعلها في صرة، فقال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة، ثم تلهَّ ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع. قال: فذهب الغلام، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك. فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية: اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفذها. فرجع الغلام إلى عمر وأخبره، فوجده قد أعد مثلها إلى معاذ بن جبل، فقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل، وتلهَّ ساعة في البيت، حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذا في بعض حاجتك. فقال: رحمه الله ووصله، تعالي يا جارية: اذهبي إلى بيت فلان بكذا، واذهبي إلى بيت فلان بكذا، فاطلعت امرأة معاذ، فقالت: نحن والله مساكين فأعطنا، ولم يبق في الخرقة إلا ديناران فدفع بهما-أي رمى بهما إليها-.

فرجع الغلام إلى عمر فأخبره بذلك، فسُرّ بذلك، وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض". (حلية الأولياء: ١/٢٣٧). الله أكبر! ما أحوجنا إلى رجال كهؤلاء!

ولذلك قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يومًا لمن حوله: تمنوا، فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهبًا، فأنفقه في سبيل الله، ثم قال: تمنوا، فقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤًا وزبرجدًا أو جوهرًا، فأنفقه في سبيل الله وأتصدق، ثم قال عمر: تمنوا، فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين، فقال عمر رضي الله عنه: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة رجالًا مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان. (حلية الأولياء: ١/٢٣٧).

وهذه امرأة أوجب الله لها الجنة بسبب الإيثار: عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاءَتْني مسْكينةٌ تحمل ابْنَتَيْن لها، فأطْعمْتُها ثلاث تَمرات، فأعْطتْ كلَّ واحدةٍ منهما تمْرةً، ورفعتْ إلى فيها تمْرةً لتأكلها، فاستطْعمتْها ابْنتاها، فشقّتْ التمْرة، التي كانتْ تُريدُ أنْ تأكلها بيْنهُما، فأعْجبني شأنُها، فذكرْتُ الذي صنعتْ لرسُول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إنّ الله قدْ أوْجبَ لها بها الجنّة، أوْ أعْتقها بها من النّار. (مسلم ٢٦٣٠).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة، فقال: «إن أخي فلانًا وعياله أحوج إلى هذا منا، فبعث به إليهم، فلم يزل يبعث به واحدٌ إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأول فنزلت «وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» (الحشر: ٩)». (الدر المنثور: ٨/١٠٧).

هذه هي الإخوة يحققون قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». متفق عليه.

ولقد أتى أبا هريرة رضي الله عنه رجل فقال: يا أبا هريرة إني أريد أن أؤاخيك في الله، فقال أبو هريرة: وهل تدري ما حق الأخوّة؟ قال: لا؟ عرفني، قال: إن من حق الأخوة ألا تكون أحق بدرهمك ودينارك مني، فقال الرجل: لم أبلغ هذه المنزلة، قال: فإليك عني. (منهاج المسلم: ص١٣١).

وقال أبو جعفر لأصحابه يومًا: أيدخل أحدكم يده في جيب أخيه فيأخذ من ماله ما يريد؟ قالوا: لا. قال: فلستم بإخوان كما تزعمون. (مختصر منهاج القاصدين: ص١٠٠).

وقال بعض السلف: ما كنت لأقول لرجل إني أحبك في الله فأمنعه شيئًا من الدنيا.

وقال بعضهم: إني لأستحي من الله أن أسأل الجنة لأخ من إخواني ثم أبخل عنه بدينار أو درهم.

وهذا نوع آخر من الحب والإيثار سهل يسير والعمل به قليل، الدعاء لمن يحب؛ فعن أم الدرداء قالت: كان لأبي الدرداء ستون وثلاثمائة خليل في الله، يدعو لهم في الصلاة، فقلت له في ذلك، فقال: إنه ليس رجل يدعو لأخيه في الغيب، إلا وكل الله ملك يقول: آمين، ولك بمثل، أفلا أرغب أن تدعو لي الملائكة؟

وعن أبي قلابة، أن أبا الدرداء مرّ على رجل قد أصاب ذنوبًا فكانوا يسبونه، فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب -يعني: بئر- ألم تكونوا مُستخرجيه؟ قالوا: بلى. قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا لله عز وجل الذي عافاكم، قالوا: أفلا تُبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي. (صفة الصفوة: ١/٢٦٨).

وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول: وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك، ويتنعمون بها خلفك، وهو منفرد بحُزنك مهتمَ فيما قدمت عليه، وما صرت إليه، يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطياف الثرى.

فحققوا -أيها المؤمنون- هذه الأخوة بالتحابّ بينكم والتآلف، وحققوا إيمانكم بتحقيق ما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم: «من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومَن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه». (مسلم: ٢٦٩٩).

«رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (الحشر: ١٠).

أصول السنة

(مجمل اعتقاد أهل السنة)

إعداد د. أيمن خليل
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

الحمد لله حمدًا يليق بجلاله وآلائه؛ والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، أما بعد: فحيث جرى العمل على تخصيص باب للسنة، ولكن كان يخصص لحديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم لاستنباط بعض الفوائد منها، ولما كان باب السنة إنما ينبغي أن يخصص لبيان أصول العقيدة الإسلامية في الصدر الأول للإسلام وهو ما يعرف بعقيدة السلف؛ ومن ثم نعرض من خلال هذا المقال للمقصود بلفظة "السنة"، وللموضوعات الرئيسة التي تتناولها.

تعدد معاني السنة:

والسُنَة في اللغة الطريقة، والبيان، وسَنَة الله: أحكامه وأمره ونهيه، والسنَة أيضا بمعنى: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة، والسنة أيضًا هي الوجهة فيقال: امض على سننك أي وجهك وقصدك، ويقال تنح عن سنن الجبل أي عن وجهه، وهذا مفصل في معاجم اللغة.ولفظة "السنة " من الألفاظ المشتركة بين علوم شتى، فهي تستخدم بمعان عدة، ويختلف معناها من علم إلى آخر، فمعناها عند المحدثين، يختلف عنه عند الفقهاء، والمقصود بها عند الأصوليين يختلف عن معناها عند المحدثين والفقهاء، ومعناها عند علماء العقيدة يختلف عن معناها عند هؤلاء جميعًا.

السنة عند المحدثين:

عند المحدثين يقصد بالسنة ما أُثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقيَة أو خُلقيَة أو سيرة. ولأن هدف المحدثين البحث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة، الذي أمر الله عز وجل بالاقتداءِ به في كل شيء؛ ولذلك عُنوا بنقل كل ما نُسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال، وسيرة وشمائل، مع بيان درجته من حيث القبول والرد؛ ولا يعنيهم في ذلك هل يُثبت المنقولُ حكمًا شرعيًا أم لا، فالسُنة بهذا المعنى مرادفة للحديث المرفوع، ومن ثم لا يقصد بها الموقوف ولا المنقطع.

وسّع بعض العلماء دائرة السُنة لتشمل

ما كان عليه العمل في الصدر الأول للإسلام، وعلى هذا تشمل أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم، فقرروا أن الصحابة خالطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعايشوا نزول الوحي، ثم خالط التابعون الصحابة وجالسوهم، وسمعوا منهم، مع حبهم الشديد للسنة، وحرصهم التامّ على الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولذلك تدخل أقوالهم وأفعالهم في مفهوم السنة.

فتشمل السنة بناء على ذلك أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وصفاته وسائر أخباره، كما تشمل كذلك أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم، ولذلك سمّى الحافظ البيهقي كتابه " السنن الكبرى"، مع أنه ضمنه فتاوى الصحابة والتابعين وأقوالهم.

السنة عند الفقهاء:

لما كان الفقهاء يبحثون عن حكم الشرع في كل مسألة بدليلها فإن عنايتهم بالأحكام التكليفية الخمسة (الواجب، المستحب، المباح، المحرَّم، المكروه)، ولذا فالسنة عندهم هي ما يقابل الواجب، ومن ثم عرفوها بأنها ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه. فهي ما أمر الله سبحانه به ولكن ليس على سبيل الوجوب.

السنة عند الأصوليين:

لما كانت غاية الأصوليين هي البحث عن المصادر الشرعية التي تؤخَذ منها الأحكام الفقهية من قرآن وسنة وإجماع وقياس؛ ولذا فإن السنة عندهم هي: أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأفعاله، وتقريراته، التي يُستدَلّ بها على الأحكام الشرعية، فهم يبحثون عن السُّنة بصفتها مصدرًا للتشريع، فالسنة عندهم أضيق نطاقًا منها عند المحدثين. فعلماء الأصول بحثوا في أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره المشرِّع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده، ويؤصل الأصول التي يستدل بها على الأحكام، فعُنوا بما يتعلق بذلك وهي أقواله وأفعاله وتقريراته صلى الله عليه وسلم.

السنة عند علماء العقيدة:

السنة عند علماء العقيدة هي: «هدي النبي صلى الله عليه وسلم في أصول الدين، وما كان عليه من العلم والعمل والهدي، وما شرعه أو أقره مقابل البدع والمحدثات في الدين، ولذا يقول أحمد بن حنبل في كتابه أصول السنة: "..... أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة وترك الخصومات في الدين ومن ثم يقصد بالسُّنة: ما كان عليه الاعتقاد في الصدر الأول للإسلام. وحينما نتحدث عن باب السنة في مجلة التوحيد، فإننا نقصد هذا المعنى المخصوص عند علماء العقيدة. وهو ما نجده في كتاب أصول السنة لأحمد بن حنبل، والسنة لأبي بكر الخَلّال، وكتاب السنة لأبي بكر بن أبي عاصم، ولا يمنع هذا أن الفقهاء لم يحصروا الكلام عن الاعتقاد تحت مسمى السنة، فنجد كتبًا صنفت في العقيدة تحت مسميات مختلفة منها: تحت مسمى "العقيدة" لأحمد بن حنبل رواية أبي بكر الخلال، و"كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل" لابن خزيمة النيسابوري. و"الشريعة " للآجُرِّي البغدادي، و"شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " للالكائي، و"عقيدة السلف أصحاب الحديث" لأبي عثمان الصابوني، ومنها ما ناقش مسألة محددة مثل "القضاء والقدر "للبيهقي، و"العلو" للذهبي.

موضوع السنة عند علماء العقيدة:

تشمل السنة – بالمعنى الذي ذكرناه- عقيدة السلف وأصحاب الحديث في

ألوهية المولى سبحانه وربوبيته وأسمائه وصفاته، وخاصة بعض الصفات التي اشتد الخلاف مع غيرهم كالجهمية والمعتزلة مثل: الكلام والعلو والاستواء ولذا اهتم أهل السنة أصحاب الحديث بهذه الصفات الثلاث خاصة لكونها علامة فارقة بين أهل السنة وغيرهم.

وأن الإيمان قول وعمل، وأنه يزيد وينقص، والإيمان بتكليم الله جل وعلا عباده يوم القيامة، والإيمان بالقدر، والإيمان برؤية المؤمنين لربهم عز وجل يوم القيامة وفي الجنة، والإيمان بالميزان الكائن يوم القيامة، والإيمان بأن للنبي صلى الله عليه وسلم حوضاً يوم القيامة.. والإيمان بخلق الجنة والنار وأنهما موجودتان الآن، والإيمان بعذاب القبر وفتنته، والإيمان بوقوع فتنة الدجال وقتل عيسى بن مريم له.

ومن أصول السنة: الإيمان بالملائكة، وأنها مخلوقات نورانية (خلقت من النور)، ولا يعلم عددهم وكيفيتهم وخلقتهم إلا الله سبحانه، ومنهم من له جناحان، ومن له ثلاثة أو أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك، والملائكة لهم أعمال عديدة فمنهم ميكائيل الموكل بالقطر، ومنهم خزنة جهنم الذين يقومون على جهنم، ومنهم الملائكة الموكلون بحمل العرش، ومنهم الموكلون بالوحي، ومنهم الموكلون بالأجنة في بطون الإناث، ومنهم الموكل بقبض الأرواح.

ومن أصول السنة: الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله، مثل صحف إبراهيم وصحف موسى، والزبور الذي أنزل على داود، والتوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى، والإنجيل الذي أنزل على عيسى متمماً للتوراة ومؤيداً لها، وأن الله سبحانه أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم، وشرع لكل قوم ما يناسبهم، ويلائم أحوالهم.

ومن أصول السنة: الإيمان بالقرآن العظيم، وأنه كلام الله المتعبَّد بتلاوته؛ وأنه ليس بمخلوق، وأنه آخر كتاب نزل من عند الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم، يقول سبحانه: « وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٩١) وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ » (الشعراء: ١٩٢- ١٩٥).

وهو ليس خاصّاً بقوم معيَّنين وإنما للنَّاس كافة،، وأنه جاء مؤيِّداً ومصدِّقاً لما جاء في الكتب السَّابقة من توحيد الله وعبادته ووجوب طاعته. وأنه أنزل مهيمناً ورقيباً على ما سبقه من كتب، يُقرُّ ما فيها من حقٍّ، ويبين ما دخل عليها من تحريف وتغيير. لقوله تعالى: « وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ » (المائدة:٤٨).

وأن القرآن الكريم نَسَخ جميعَ الشَّرائع العملية الخاصَّة بالأمم السَّابقة، والإيمان بأنَّ القرآن الكريم حُفظ من التَّغيير والتَّبديل والتَّحريف، لقوله تعالى: « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ » (الحجر: ٩). وبذلك تميز أهل السنة عن الشيعة الرافضة الذين ادعوا أن القرآن ناقص ومحرف، وأن القرآن الكامل مع إمامهم الغائب الذي سيخرج في آخر الزمان. كما تميز أهل السنة عن البابية والبهائية: الذين ادعوا نسخ القرآن الكريم والشريعة الإسلامية بشريعة الباب والبهاء. كما تميزوا عن التيجانية الذين فضلوا أورادهم وأذكارهم (مثل صلاة الفاتح) على القرآن الكريم وجعلوا قراءتها مرة واحدة أفضل من قراءة القرآن ستة آلاف مرة.

كما تميز أهل السنة عن الغلاة عن مدعي العلم اللدنّي الذين يزعمون أنه يوحى إليهم، فيغنيهم هذا عن القرآن ويبدلوا

أحكامه بزعمهم فمرقوا من الدين. كما تميزوا عن الفرق الباطنية(ومنهم النصيرية والدروز) الذين تأولوا القرآن وأخرجوه عن مراده والمقصود منه فلم يحرفوا لفظه ولكنهم حرفوا معناه (وممن يسير على منهجهم الآن شحرور والكيالي وغيرهما).

ومن أصول السنة: الإيمان بالرسل، وهو أصل من أصول الإيمان، قال تعالى: (قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ) سورة آل عمران: الآية ٨٤. ومن لم يؤمن بالرسل ضل ضلالاً بعيداً، وخسر خسراناً مبيناً لقوله تعالى «وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا» (النساء: ١٣٦). ومن كفر بالرسل أو أحدهم فقد كفر ولا ينفعه زعمه الإيمان، لقوله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا» (النساء: ١٥٠-١٥١).

والرسل أرسلهم الله إلى عباده، وهم حملة وحيه، ومهمتهم هي إبلاغ الأمانة التي تحملوها إلى عباد الله لقوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ» (المائدة: ٦٧). والغاية من إرسال الرسل الناس من الظلمات إلى النور لا يتحقق إلاّ بتعليمهم دين ربهم، وتعريفهم بربهم وأسمائه وصفاته، وتعريفهم بملائكته وكتبه ورسله، وتعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم، وتزكية نفوسهم.

ومن عقيدة أهل السنة: الإيمان بالبعث بعد الموت يوم القيامة، والإيمان بالبعث أصل من أصول الدين، وأصل من أصول الإيمان، وركن من أركان الإيمان لا يصح الإيمان إلا به، ومن لم يؤمن بالبعث فهو كافر بإجماع المسلمين. ويؤمن أهل السنة بكل ما أخبر الله سبحانه به من أهوال ذلك اليوم الحق، واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما يرونه ويلقونه هنالك في ذلك اليوم الهائل، وأن من الناس من يأخذ كتابه بيمينه فهو من أهل السعادة، ومنهم من يأخذ كتابه بشماله وهذا من أهل الشقاوة، ويؤمنون بالمقام الهائل من الصراط والميزان، ونشر الصحف التي فيها مثاقيل الذر من الخير والشر وغيرها.

كما يؤمن أهل السنة بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الشفاعة في يوم القيامة أنواع متعددة: فمنها الشفاعة العظمى التي تكون في موقف القيامة، ويتأخر عنها أولو العزم من الرسل، وهي خاصة بنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وهي المقام المحمود الذي يغبطه فيه الأولون والآخرون، وهي مذكورة في قول الله تعالى: «عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا» (الإسراء: ٧٩). فالمقام المحمود: هو الشفاعة العظمى، وهي عامة للمؤمنين والكفار، لأهل الموقف جميعاً حتى يستريحوا من موقف القيامة.

وهناك شفاعة أخرى خاصة بنبينا صلى الله عليه وسلم وهي الشفاعة لأهل الجنة ليأذن لهم لمولى في دخولها، وهناك شفاعة أخرى أنكرها أهل البدع وهي الشفاعة لمن استحق النار من عصاة الموحدين ألا يدخلها، والشفاعة فيمن دخل النار منهم أن يخرج منها، والشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة ولا يدخلوا النار.

والشفاعة لأهل المعاصي تميز أهل السنة عمن أنكرها كالجهمية والمعتزلة والخوارج. ويؤمن أهل السنة بالحوض، والكوثر، وبإدخال فريق من الموحدين الجنة بغير

حساب، وادخالهم الجنة بغير سوء يمسهم أو عذاب يلحقهم، وبمحاسبة فريق منهم حساباً يسيراً، ويؤمنوا بإدخال فريق من مذنبي الموحدين النار، ثم إعتاقهم وإخراجهم منها، والحاقهم بإخوانهم الذين سبقوهم إلى الجنة ولا يخلدون في النار، فأما الكفار فإنهم يخلدون فيها ولا يخرجون منها أبداً، ولا يترك الله فيها من عصاة أهل الإيمان أحداً.

ومن عقيدة أهل السنة: الإيمان بأن الصحابة أفضل الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وأن المولى سبحانه اصطفاهم لرفقة النبي صلى الله عليه وسلم وحمل أمانة الدين من بعده، فهم يترضون عنهم ويتولونهم وينزلونهم منازلهم التي تليق بهم بالعدل والإنصاف. ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم، ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم، وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه رضي الله عنهن، والدعاء لهن، ومعرفة فضلهن، والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين، فخالفوا بذلك الرافضة الذين كفروا الصحابة وفسقوهم وطعنوا فيهم، وعبدوا أهل البيت، كما خالفوا النواصب الذين نصبوا العداوة لأهل البيت.

ومن عقيدة أهل السنة أصحاب الحديث: الصلاة خلف كل إمام براً كان أو فاجراً، وجهاد الكفرة مع الأئمة وان كانوا جورة فجرة، كما يرون الدعاء للأئمة بالصلاح والتوفيق وبسط العدل في الرعية. ويرون وجوب طاعة ولاة الأمر في المعروف وعدم جواز الخروج عليهم ونزع اليد من الطاعة، ولا يرون الخروج عليهم بالسيف حتى وان رأوا منهم الجور والحيف.

كما أنهم يرون ثبوت رجم الزاني المحصن بالسنة. ويرون الصلاة على الموحدين من أهل القبلة واستحباب الاستغفار والدعاء لهم. وأنهم لا يجزمون لأحد بجنة ولا نار إلا من وردت النصوص في تعيينه، وأن حكم مرتكب الكبيرة من المسلمين غير المستحل لها إن تاب مستكملا شروط التوبة تاب الله عليه، وان مات دون توبة فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه، وان شاء عذبه ولكنه لا يخلد في النار.

ومن عقيدة السلف أنهم يعملون بالحديث الصحيح المنقول بنقل العدول الثقات الضابطين بالسند المتصل يعمل به في العقائد خلافاً للمعتزلة وغيرهم الذين يقولون: لا نقبل خبر الآحاد في العقائد. وهو ما انتصر له الشافعي في كتابه حديث الآحاد، ولقب من أجله بناصر السنة.

وهذا عرض مجمل لاعتقاد أهل السنة من السلف أصحاب الحديث، وليس المقصود منه الاستيعاب لكل جوانبه أو التفصيل، أو الاستدلال بالأدلة على كل ما ورد فيه، وإنما ذكر بعض الجوانب الرئيسة للموضوع، وإنما سيكون التفصيل والاستدلال من خلال مقالات عديدة يحررها أهل الفن والاختصاص، بحيث يتم العرض في كل مقالة لموضوع معين يمثل وحدة مستقلة قائمة بذاتها؛ وإن كانت جميعها تتحد معًا لتشكل موضوعًا كليًا ينتظم في إطار واحد، فتكون إحدى المقالات مثلا عن: رؤية المؤمنين لربهم، وثانية عن الشفاعة، وثالثة عن القرآن كلام الله غير المخلوق، ورابعة عن الحوض، والتي تليها عن الصراط، إلخ.....بحيث تتناول كل مقالة موضوعًا محددًا مستقلًا عن غيره في كل مقال للمحافظة على الوحدة الموضوعية للمقال. وآخر دعوانا أن

الحمد لله رب العالمين.

العالم الإسلامي والحضارة الغربية:

وِفاق أم مُواجهة ؟!

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

يعتقد الغرب أنه يحتكر قيم الحرية والعدالة والمساواة، ويتخذ من هذا الاعتقاد أساسًا في تحركاته وتصرفاته ومعاملاته مع الأمم الأخرى خاصة الإسلامية منها، وهو يمتلك قدرات عسكرية وصناعية واقتصادية هائلة في ظل ما يعانيه العالم الإسلامِي من تفكك ظاهر، وضعف اقتصادي جلي ليس فيه خفاء؛ بحيث يعتمد جلَ العالم الإسلامي المعاصر على ما يصنعه الغرب من الآلات والمعدات الصناعية المهمة، وما ينتجه من السلع الضرورية بصورة غير مسبوقة في التاريخ الإسلامي، ويمثل هذا واقعَا مُرًا يأباه المسلم الحر، ويندى له جبين العقلاء من المنتمين إلى العالم الإسلامي الذين يدركون ما لرسالة الإسلام الخالدة من خِصائص فريدة تجعل أتباعه في مقدمة الأمم، وتكفل لهم الحياة الكريمة، وتُمكِّنهم من تبوء مكانة رفيعة بين الإنسانية، وتحقق لهم السيادة والقيادة والصدارة في كل مناحي الحياة.

إعداد أ.د. عبد الوارث عثمان
أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

وقد استطاع الغرب فرض هذا الواقع المخزي على العالم الإسلامي خلال ثلاث مراحل المرحلة الأولى والثانية تاريخية، والثالثة معاصرة هي الأكثر تأثيرًا والأشد خطورة.

المرحلة الأولى:

امتدت عبر قرنين من الزمان بزعم حقهم في السيطرة على المقدسات وتحريرها من البرابرة المسلمين (بزعمهم)، وهو ما يسمى "بالحروب الصليبية".

المرحلة الثانية:

الاحتلال الغربي لأراضي العالم الإسلامي إبَان ضعف الدولة العثمانية في زمانها الأخير ونهب ثرواته وامكانياته، وقد اعتمدوا على هذه الثروات المنهوبة في بناء حضارتهم ونهضتهم الحديثة.

المرحلة الثالثة:

الغزو الفكري والأخلاقيِ للعالم الإسلامي، وهذا الغزو حقَق لهم ما فشلوا في تحقيقه في المرحلتين السابقتين؛ إذ سلكوا مناهج فكرية خادعة أسهمت في نجاح المؤامرات الخبيثة والوسائل الماكرة في التأثير على العقول واستمالة القلوب ومخاطبة الأهواء والشهوات والغرائز، وأثاروا الشبهات حول مبادئ الإسلام

ومصادره وأحكامه وأخلاقه ورجاله بألسنة عربية وأشخاص ينتسبون إلى الإسلام يخاطبون فئات تؤمن بالإسلام إيمان جهالة بمقاصده وغاياته، مما أدى إلى محو الهوية الإسلامية لدى عدد ليس بالقليل من المسلمين؛ بحيث أصبحت الدعوة إلى العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم من الأمور الشاقة على من يقوم بها.

فقد مُنيَ العالم الإسلامي بشرذمة من ضعاف النفوس؛ وخاصة من الذين تبنوا المناهج الغربية الفلسفية والسياسية والاجتماعية والفكرية انبهارًا بحضارة الغرب، متجاهلين حضارة الإسلام، التي أضاءت أوروبا في العصر الوسيط وهي غارقة في ظلام التخلف والجهل، اعترف بذلك العدول من مفكري الغرب أنفسهم، بل ما هو أبشع من التجاهل: الاستخفاف إلى درجة الازدراء.

وهؤلاء المتيمون بحضارة الغرب أساؤوا إلى أنفسهم دون أن يدركوا حين تنازلوا عن هويتهم طواعية تزلفًا إلى الغرب، وكسبًا للارتزاق والأضواء معًا، ويحزننا ما نشاهده ونسمعه يوميًا عبر القنوات الفضائية في بلاد الإسلام من عبارات التهكم الصريح على الإسلام وقرآنه العظيم والتخرص بالباطل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الغرّ الميامين ورجاله الذين حوت صدورهم أحكام رسالة الإسلام الخالدة وهداياتها فوعتها أفئدتهم فنطقت بها ألسنتهم حتى وصلت إلينا صحيحة واضحة لا يزيغ عنها إلا الضال المضل الهالك.

استغلت هذه الشرذمة الباغية من ذيول الغرب فرصة أصبح الإسلام فيها الجدار المائل، يقذفه بالحجارة والطوب كل مَن هبّ ودبّ... تنال من الإسلام وثوابته، وهذه الذيول أجبن من أن تتعرض -ولو تلميحًا أو تصريحًا- لأي ديانة من الديانات واضحة السفاهة والضلال.

وقد زعم هؤلاء أن العالم الإسلامي لن ينهض إلا إذا اتبع الغرب في مناهجه الفكرية والاقتصادية والتربوية والاخلاقية والاجتماعية بعيدًا عن الإسلام وأحكامه ومبادئه وقيمه!

ويكفي للرد عليهم أن نقف على رأي الغرب نفسه في حضارته، وهل هو عنها راض عنها أم أنه ذهب ضحية لهذه المدنية المادية؟ فقد تنبأ بعض المفكرين في الغرب بانهيار الحضارة الغربية، ومنهم السياسي الألماني الذي كان مستشارًا للرايخ الألماني؛ حيث قال: "نحن الآن على حافة الهاوية؛ لأننا تقدمنا في العلم حتى صرنا عبيدًا للعلم، وبرعنا في الاختراع حتى صرنا عبيد الاختراع، وتمادينا في استخدام الآلة حتى صرنا عبيد الآلة... ولم يبق لنا من أمل ينقذنا من هذا الفزع المدمر، إلا أن نؤمن بأن هذا الكون له خالق، وأن هذا الخالق العظيم وضع له قوانين، وما علينا إلا أن نسير طبقًا لهذه القوانين، لنتخلص من عبودية المادة.. وبذلك تنجو الإنسانية من الهوة التي نقف على حافتها".

إن بعض المفكرين من بلاد صانعة الحضارة، هم الذين يوجهون صيحات الإنذار؛ لأن الخطر أصبح محدقًا بالبشرية قاطبة بعد أن أعلنت الحضارة المعاصرة عن إفلاسها، يقول الدكتور ألكسيس كارليل في مؤلفه المعروف: "الإنسان ذلك المجهول": "إن الحضارة العصرية أصبحت في موقف صعب؛ لأنها لا تلائمنا؛ فقد أنشئت دون أي معرفة بطبيعتنا الحقيقية؛ إذ إنها تولدت من خيالات الاستكشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم، وعلى الرغم من أنها بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا".

أجل فمما لا جدال فيه أن الحضارة الغربية التي جفت فيها الروح وشلّ بها الضمير، وطغت فيها المادة على كل شيء، فحطمت كل القيم والمبادئ الإنسانية، وحولت العالم إلى غابة شاسعة، تتحكم فيها الوحوش الضارية، جعلت أنه لا مفر من الأخذ بمنهج الله، الذي حمله محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، وإلا ظلت البشرية تتخبط في متاهات الغي والضلال والفساد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أحلاس الفتنة وذيول العار:

وهم بقايا الاحتلال الغربي للعالم الإسلامي،

فعندما رحل المستعمر عن البلاد الإسلامية والعربية ظلت ثقافتهم منتشرة بين جماهير الأمة الإسلامية خاصة المثقفين، وقوانينه هي الحاكمة للبلاد الإسلامية وظلت الشريعة الإسلامية مغيَّبة عن الحكم، وكان من الواجب أن ترحل هذه الثقافة والقوانين مع المستعمر الذي قتل وشرد الكثيرين من المسلمين ونهب ثروات العباد والبلاد واستنزف خيراتها، فما كان لثقافته وقوانينه التي جلبها معه أن تبقى في عالمنا الإسلامي بعد رحيله إلا أن المستعمر كان واعيًا بمهمته ووسائله فعلم أنه لا بقاء لمستعمر في بلاد يكره أهله بقاءه فيها؛ فعمل جاهدًا على تربية أعداد من أبناء المسلمين على بُغْض الإسلام وغرس في عقولهم أن الإسلام أصبح غير صالح لقيادة الحياة وأن القوانين الوضعية هي الصالحة لقيادة الحياة وأن الثقافة الغربية هي التي ينبغي أن تسود حتى تنهض البلاد من كبوتها فقام هؤلاء الخلفاء "المستعمر الثقافي" بما عجز المستعمر عن القيام به؛ فحافظوا على الثقافة الغربية والقوانين الوضعية، ودافعوا عنها وعملوا على نشرها بين جماهير الشعوب الإسلامية، بل وصلوا إلى سدة الحكم وأصبحوا صناع القرار، وتسموا بأسماء متعددة ليبراليين وعلمانيين ويساريين إلى غير ذلك من الأسماء، غير أن بينهم قواسم مشتركة ووسائل واحدة لبلوغ غايتهم الخبيثة في تدمير العالم الإسلامي؛ لأنهم جميعًا خرجوا من معين واحد.

وفي مواجهة أصبح من الواجب أن تعود الأمة الإسلامية إلى مصدر قوتها وعزتها وكرامتها بعد أن أدركت حجم الجريمة التي ارتكبت في حقها، وأنها انقادت لعدوها بتركها كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، فماذا تنتظر من عدوها؟ لا تنتظر إلا ما حدث لها، ذل وهوان وضياع.

الوسائل الغربية لمحو الهوية الإسلامية:

وقد وضعت القوى الغربية المعاصرة وسائل متعددة لتحقيق أهدافهم المدمرة، وفرض ثقافتهم على العالم الإسلامي من خلال عدة محاور؛ بحيث يصلون إلى عقول المسلمين على اختلاف مشاربهم الثقافية والمعرفية بحيث إذا فشلت وسيلة أفلحت أخرى في تحقيق المقصود.

فمن ذلك ترويج الأفكار المغلوطة عن الإسلام وأحكامه ومبادئه وقيمه ومصادره ورجاله وتراثه وبألسنة عربية إسلامية، تدعي حب الإسلام والبحث عن الحقيقة، ومن تلك الأفكار المغلوطة:

١- الزعم بأن الإسلام سبب تخلف المسلمين.

٢- ادعاء أن الإسلام غير صالح للتطبيق في العصر الحديث.

٣- حصر الإسلام في العبادات الفردية.

٤- حصر الإسلام في الحدود.

٥- الاستخفاف بمبادئ الإسلام وتزهيد الناس فيه.

وهذه المفاهيم المغلوطة التي ذكرنا منها ما سبق كانت بداية المرحلة الأولى للغزو الفكري الغربي للعالم الإسلامي، ومحاولة ممنهجة ومدعومة منه لفرض حضارته المعاصرة.

أما المرحلة الثانية: فقد اعتمدت على إثارة الشبهات حول مبادئ الإسلام الخالدة وشريعته الغراء، وادعاء قضايا وهمية نذكر منها:

١- زعمهم الباطل بأن الإسلام سعي إلى تكوين مجتمع ذكوري، وأنه أهان المرأة وحط من شأنها.

٢- أذاعوا في أجهزة الإعلام أن الإسلام حرم الإنسان من حقوقه واعتدى على حريته.

٣- أعلنوا أن الإسلام يُحرِّض على العنف والإرهاب، وطالبوا بحذف الآيات المتعلقة بالجهاد في سبيل الله من القرآن الكريم ومحو أجزاء من سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

٤- الطعن في فرضية الحجاب وانكار أدلته من الكتاب السنة.

ثم دخلوا في المرحلة الثالثة: فطعنوا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كليًّا؛ وأنكروها وتخرصوا بالباطل على النبي صلى الله عليه وسلم تخرصًا فاحشًا وعن بصر وبصيرة وعلنًا وعلى مرأى ومسمع من جميع المسلمين.

٥- نادوا بإلغاء مادة الدين من المدارس وإحلال مادة الأخلاق مكانها.

٦- المطالبة بمنع الأذان العلني.

٧- منع المحجبات من دخول المدارس والجامعات والمعاهد والأماكن العامة.

٨- الدعوة إلى إباحة زواج المسلمة من غير المسلمين.

إن هذه الشرذمة التي استهوتها الحضارة

الغربية الزائفة والتي تريد من العالم الإسلامي أن يتنازل عن هويته ليلحق بها؛ كانت وراء -ولا تزال- وراء اضطراب العالم اليوم، لقد أثمرت حربين عالميتين في أقل من أربعة عقود، أكلتا الأخضر واليابس، وسفكت دماء عشرات الملايين من الأنفس، وهذه الحضارة هي التي أثمرت الانحلال الخلقي والبوهيمية الفجّة، وأصبح الشذوذ الجنسي مشروعًا، وكذلك الزواج المثلى الذي لا مثيل له في عالم الحيوان، وليهنأ المتيمون بحضارة الغرب، فهم أشبه بمعتوه يدعي الطهارة وهو يتبول نهارًا على نفسه في قارعة الطريق!!

ولن تتأثر حضارة الإسلام بنقيق الضفادع أو طنين الذباب أو عواء الكلاب الضالة!!

وإن من المصائب التي ابتلي بها العالم الإسلامي هؤلاء الذين يتحدثون عن الإسلام وأحكامه ومبادئه ومصادره ورجاله وتراثه دون أن تكون لهم أدنى دراية بعلومه، فيطعنون في ثوابته ويحولونها إلى فروع، ثم يعمدون إلى الفروع فيجعلونها ثوابت، وفي بعض الأحيان ينكرون الثوابت والفروع أو يصرفونها عن مقاصدها بغية الوصول إلى تقريبها من الحضارة الغربية، ولا يخشون على أنفسهم من شبه الإلحاد أو التبعية الممقوتة، يظنون أنهم قد نالوا الثريا بعلمهم وهم لم يملكوا من الأدوات ما يؤهلهم إلى أن يخطوا خطوات نحو العلم والمعرفة في مجالس العلماء الثقات كي ينهلوا من منابعه ويضعوا أقدامهم على أول طريقه، ثم إن العلم ليس حكرًا على أحد، ولكن له من الأصول والضوابط والدربة ما يجب الأخذ بها. وليس من الحكمة بحال أن يُترك مَن يتكلم دون معرفة بكل ما اشتهت نفسه، دون أن يتصدى له القائمون المدربون؛ لتبيين الحق من نقيضه، فإن كان محقًا أيّدوه، وإن كان غير ذلك بينوا خطأه ووضحوا الصواب، ووضعوا الناس على الطريق الصحيحة.

فالشريعة الإسلامية شريعة تساير كل عصر، وتحفظ مصالح كل جيل. فقد يحار الباحث المنصف في تبرير قتامة صورة الإسلام لدى الغرب وأبواقه الإعلامية؛ إذ أمعن في بحث واقع العالم الإسلامي اليوم والواقع الغربي المعاصر، ويصبح الوضع أشد خطورة وظلمًا إذا تحمل الإسلام أوزار هذه المقارنة بين العالمين الإسلامي والغربي؛ إذ إن الحضارة الإسلامية هي مجموعة من القيم الربانية من عمل بها أفلح وفاز، ومن هجرها عاش أبد الدهر يعاني من الضعف والوهن، وهذه القيم هي خصائص الحضارة الإسلامية التي تسهم في بناء الشخصية المسلمة الكاملة التي تعي الحكمة من خلقها، وهي عبادة الله تعالى مما يعينه على القيام برسالته فيعمل على عمران الأرض، وإثراء الحياة.

إن القيم الإسلامية هي معان حية نابضة ينبغي أن تتقمص السلوك، وتلتحم بالأخلاق، وتتضافر بكيان المرء حتى يصبح مظهره الإنساني مع الناس انعكاسًا صادقًا لمخبره الإيماني مع الله. وهكذا تصبح هذه القيم الخالدة التي أرادها الحق لنا سفينة هادئة واثقة تشق بركابها المؤمنين الآمنين عباب الموج المتلاطم الذي لا يستقر على حال حتى تصل بهم إلى بر الأمان في الدنيا والآخرة. فالمسلم الحق هو الذي يتحصن بالقيم التي بثّها الخالق في أنفسنا، فطرية نقية تميز الخبيث من الطيب، وتعي سنة الله في الخلق التي لا تبديل لها ولا تحويل، ولعل ذلك هو مصداق الإشارة النبوية الحكيمة "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"، ولا شك في أن المسلم الذي يتخذ من هذه القيم الإسلامية سلوكًا عمليًا يمشي على الأرض، ويوظفها في الارتقاء بنفسه وبذويه لهو المسلم القدوة الذي يسير بين الناس نبراسًا يطمح الآخرون إلى السير في مسيرته وانتهاج نهجه، ويكون بهذا قد حقق عمارة الأرض، وسار على النهج العظيم في كونه أسوة لغيره.

وامتدادًا لهذا يكون الإيمان بالقيم والمثل الإسلامية والاستهداء بها في سلوكنا وحياتنا العمل هو الوسيلة الوحيدة لبناء الأمة الإسلامية المترابطة، المتكافلة، المتعاونة على البر والتقوى، القوية بالله، والمنتصرة على أعدائها بتوفيق الله، وتكون في المكانة العظمى التي أرادها الله لها في العالم «كنتم خير أمة أخرجت للناس».

والله المستعان.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

دعاء الملائكة لأهل التوحيد

قال تعالى: «الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ» (غافر: ٧).

من أقوال السلف

عن شاذ بن يحيى قال: "ليس طريق أقصد إلى الجنة من طريق سلك الآثار". (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

التحذير من ترك سنة النبي صلى الله عليه وسلم

عن أبي رافع رضي الله عنه أنَّه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «لا ألفينَّ أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه الأمر من أمري ممَّا أمرتُ به أو نهيتُ عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتَّبعناه» (سنن أبي داود - كتاب السنة)

حكم ومواعظ

عن همام بن يحيى قال: بكى عامر بن عبد الله في مرضه الذي مات فيه بكاءً شديدًا، فقيل له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: آية في كتاب الله: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» (كنز العمال).

من فضائل الصحابة: فرار الشيطان من عمر رضي الله عنه

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إيهٍ يا ابن الخطاب! والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجًا، إلا سلك فجًا غير فجك. (الفج بالفتح: الطريق الواسع بين الجبلين)

(متفق عليه: أخرجه البخاري ومسلم).

إعداد : علاء خضر

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

من زهد في الدنيا؛ علمه الله تعالى بلا تعلم، وهداه الله بلا هداية، وجعله بصيرًا، وكشف عنه العمى. (حديث موضوع: أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء عن علي بن أبي طالب ١/٧٢).

من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "اللهُمَّ لكَ أسلمْتُ، وبكَ آمنْتُ وعليْكَ توكّلْتُ، وإليْكَ أنَبْتُ، وبكَ خاصمْتُ. اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بعزَّتكَ، لا إلهَ إلا أنتَ، ألا تُضلَّني، أنتَ الحيُّ الَّذي لا يَموتُ، والجِنُّ والإنسُ يموتُون". (أخرجه مسلم: ٢٧١٧).

من دلائل النبوة

الأرض تلفظ من يكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

عن أنس رضي الله عنه قال: إن رجلاً كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، فارتدَّ عن الإسلام، ولحق بالمشركين؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الأرض لا تقبله. فأخبرني أبو طلحة أنه أتى الأرض التي مات فيها فوجده منبوذًا فقال: ما شأن هذا؟ فقالوا: دفناه مرارًا فلم تقبله الأرض.

(متفق عليه؛ أخرجه البخاري ومسلم).

من معاني الأحاديث

(ذعت) فيه «إن الشيطان عرض لي يقطع صلاتي؛ فأمكنني الله منه فذعته» أي خنقته. والذعت والدعت بالذال والدال: الدفع العنيف. والذعت أيضًا: المعك في التراب. (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ج٢/١٦٠).

من درر علماء الجماعة في التحذير من البدع

قال الشيخ رشاد الشافعي رحمه الله: "ولهذا قامت أنصار السنة المحمدية تؤكد للناس أن الخير كل الخير، والبر كل البر في العودة بالمسلمين إلى ما كان عليه سلفهم الصالح: من تحكيم الكتاب والسنة، حتى تبني الإنسان الحر الذي يأبى أن تستعبده الأوهام ويمحو ذاته في ذوات أولئك الدجالين والمتجرين بالدين. (مجموعة ١ العدد التاسع ١٣٩٣).

الحائض

ودخول المسجد

إعداد د. متولي البراجيلي
دكتوراه في الشريعة - جامعة القاهرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين.

وبعد: هل يجوز للحائض دخول المسجد؟

اختلف العلماء في هذه المسألة؛ فالجمهور على أنه لا يجوز للحائض المكث في المسجد (انظر: المبسوط للسرخسي ٣/ ١٨٠، الذخيرة للقرافي ١/ ٣٧٩، المجموع للنووي ٢/ ٣٨٥، المغني لابن قدامة ١/ ١٠٧)، واختلفوا فيما بينهم؛ هل يجوز لها المرور أم لا يجوز؟

فمنهم قال بمنعها على الإطلاق من دخول المسجد كأبي حنيفة ومالك وغيرهما، ومنهم مِن قال بجواز مرورها فقط قياسًا على الجنب كالشافعي وأحمد وغيرهما (انظر المجموع ٢/ ١٦٢، الإنصاف للمرداوي ١/ ٣٤٧، تفسير ابن كثير ٢/ ٣١٣).

ومن أهل العلم من قال بجواز دخول الحائض إلى المسجد على الإطلاق كابن حزم والمزني من الشافعية وابن المنذر وغيرهم (انظر المحلى ١/ ٤٠٠، الثمر المستطاب ٢/ ٧٤٣ - ٧٥٥).

أولاً: أدلة الجمهور:

١- قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبًا إلا عابري سبيلٍ حتى تغتسلوا) (النساء: ٤٣)؛ استدلالاً من هذه الآية احتج كثير من العلماء على أنه يحرم على الجنب المكث في المسجد، ويجوز له المرور، وكذا الحائض والنفساء أيضا في معناه؛ إلا أن بعضهم قال: يمنع مرورهما لاحتمال التلويث، ومنهم من قال: إن أمنت كل واحدة منهما التلويث جاز لها المرور (تفسير ابن كثير ٢/ ٣١١)، وأن الصلاة في الآية معناها مواطن الصلاة، أي المساجد.

٢- حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إني لا أحل المسجد لحائض ولا جُنب" (سنن أبي داوود).

٣- حديث أم عطية رضي الله عنها أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "تخرج العواتق وذوات الخدور والحيّض، وليشهدن الخير ودعوة المسلمين ويعتزل الحيّض المصلى (متفق عليه).

قالوا: فالأولى منعهن من المساجد..

٤- حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ناوليني الخمرة من المسجد، فقلت إني حائض، فقال: إن حيضتك ليست في يدك (صحيح مسلم). قالوا: إن النبي صلى الله عليه وسلم استثنى يدها فقط، وهي قالت ذلك لعلمها بعدم جواز دخولها المسجد، لذا قالت ذلك.

٥- لما حاضت عائشة رضي الله عنها في الحج؛ فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: "افعلي ما يفعله الحاج غير أنك لا تطوفي بالبيت حتى تطهري" (متفق عليه)؛ ففي الحديث منع النبي صلى الله عليه وسلم عائشة من دخول المسجد بصفة عامة.

٦- حديث عائشة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم يُصْغي إليّ رأسه وهو مجاور في المسجد؛ فأرَجِّله وأنا حائض (صحيح البخاري)، فقالوا: امتنعت عن ترجيله (تسريح شعره) في المسجد لحيضتها.

ثانيًا: مناقشة أدلة الجمهور:

١- قياس الحائض على الجنب، قياس فيه نظر، فأمر الجنب يختلف عن أمر الحائض، فالجنب أمره بيده، في رفع جنابته بالاغتسال أو التيمم، إنما الحائض حيضتها ليست بيدها.

٢- هناك تفسيران لقوله تعالى: (لا تقربوا الصلاة)؛ فقيل: الصلاة هنا: مواطن الصلاة، أي المساجد، ولأن قوله تعالى: (إلا عابري سبيل)، لا يمكن أن يكون داخل الصلاة نفسها.

قال ابن عباس: (ولا جنبًا إلا عابري سبيل) يقول: "لا تقربوا الصلاة وأنتم جنب إذا وجدتم الماء، فإن وجدتم الماء فقد أحللت لكم أن تمسحوا بالأرض".

وقيل بل المقصود الصلاة نفسها وليس مواطن الصلاة، بدليل قوله تعالى: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهُدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) (الحج: ٤٠)؛ فالصلاة في الآية هي ذات الصلاة وليست المساجد؛ لأن المساجد مذكورة بعدها، ومما يؤيد ذلك أن الآية فيها: وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدًا طيبًا.

فالمقصود الصلاة نفسها، والمعنى لا تصلوا جنبًا إلا في حال السفر؛ فصلوا بالتيمم، لذا أكد بعدها التيمم.

٣- حديث عائشة رضي الله عنها وفيه... "إني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب". ولو صح هذا الحديث لكان نصًا في المسألة، لكنّ الحديث ضعيف عند أكثر نقاد الحديث؛ ففيه جسرة بنت دجاجة، تفردت به، وحالها لا يحتمل التفرد، ضعّف الحديث البخاري، وقال: "فيه جسرة وعند جسرة عجائب، وكذلك فيه العامري وهو مجهول". وكذلك ضعفه جماعة من أهل العلم منهم الإمام أحمد والبيهقي وعبدالحق الإشبيلي والنووي، وقال ابن حزم باطل (انظر إرواء الغليل ١٦٢/١، ميزان الاعتدال ٣٩٩/١، شرح السنة ٤٦/٢، البدر المنير ٥٦١/٢).

٤- حديث أم عطية رضي الله عنها وفيه: "وليعتزل الحيّض المصلى". وأجيب عن ذلك من وجهين: أولاً بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي العيد في الفضاء، والمرأة لا تُمنع من الفضاء؛ لأنّ ليس له حكم المسجد.

ثانيًا: وردت رواية للحديث عند مسلم:... فأما الحيَض فيعتزلن الصلاة، مما يرجح أن المقصود الصلاة وليس المصلى..

قلت: وقد تحمل الرواية الثانية على الأولى، فيكون اعتزال الصلاة، أي اعتزال مكانها وهو المصلى.

٥- حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا، وفيه: "إن حيضتك ليست بيدك". وأجيب عن ذلك أن معنى ذلك، أن لا يد لك في ذلك، فهذا أمر كتبه الله على بنات آدم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن هناك رواية للحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في المسجد، وقال ذلك لعائشة رضي الله عنها، مما يدل على وجودها في المسجد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه بينَا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد إذ قال يا عائشة! ناوليني الثوب.... (سنن النسائي).

قال الشوكاني: "والحديث يدل على جواز دخول الحائض المسجد للحاجة... وقد قال بذلك طائفة من العلماء، واستدلوا به على جواز دخول الحائض المسجد لحاجة تعرض لها؛ إذا لم يكن على جسدها نجاسة، وأنها لا تمنع من المسجد إلا مخافة ما يكون منها.... وقد ذهب إلى جواز دخول الحائض المسجد، وأنها لا تمنع إلا لمخافة ما يكون منها؛ زيد بن ثابت، وحكاه الخطابي عن مالك والشافعي وأحمد وأهل الظاهر، ومنع من دخولها سفيان وأصحاب الرأي، وهو المشهور من مذهب مالك (انظر نيل الأوطار ١/٢٨٥- ٢٨٦).

٥- في حديث عائشة رضي الله عنها لما حاضت في الحج، وفيه: فافعلي ما يفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري. وأجيب عن ذلك أن النهي عن الطواف فقط وليس النهي عن دخول المسجد؛ لأن الطواف صلاة، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: أقلوا الكلام في الطواف، فإنما أنتم في صلاة. (صححه الأرناؤوط في تخريج شرح السنة ٧/١٢٧، والألباني في إرواء الغليل ١/١٥٧)، (وورد موقوفا أيضا على ابن عباس رضي الله عنهما وصححه الألباني في صحيح الجامع: ح٣٩٥٥). فأجاز لها النبي صلى الله عليه وسلم ما يفعل الحاج ولم ينهها إلا عن الطواف بالبيت، فدل ذلك على جواز دخول المسجد الحرام؛ لأن الحاج له ذلك.

٦- حديث عائشة رضي الله عنها: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يُصغي إلَي رأسه وهو مجاور في المسجد فأرجّله وأنا حائض". وأجيب عن ذلك أنه ليس صريحًا فيما ذهبوا إليه من عدم دخولها المسجد لحيضتها، فقد يكون عدم دخولها لعلة أخرى كوجود رجال في المسجد أو نحو ذلك.

ثالثًا: من جوز للمرأة الحائض دخول المسجد (بالإضافة إلى ردودهم على أدلة الجمهور التي وقفنا عليها)، فإن لهم استدلالات وأدلة، منها:

١- البراءة الأصلية، فلم يصح حديث في المنع، وبالتالي يبقى الأمر على الجواز.

٢- حديث عائشة رضي الله عنها: أن وليدة سوداء كانت لحي من العرب فأعتقوها فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت فكان لها خباء في المسجد (صحيح البخاري)؛ فهي كانت مقيمة به، ولا شك بأنها كانت تحيض. وأجيب عن ذلك بأن هذه كانت حالة ضرورة، وتقدر الضرورة بقدرها فلا يُقاس عليها.

٣- حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد -أو شابًا- ففقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عنها أو عنه، فقالوا ماتت أو مات (متفق عليه)، ووردت روايات للحديث على التعيين أنها امرأة، وهي ليست هنا حالة ضرورة كحديث الوليدة السوداء. ويُجاب عن ذلك أنها ربما كانت لا تُقم المسجد يوميًا، بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم افتقدها بعد أيام. لكن لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم نهاها ألا تنظف المسجد وهي حائض.

٤- عن عطاء بن يسار قال: رأيت رجالاً

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنبون إذا توضئوا وضوء الصلاة (تفسير ابن كثير وغيره، صحيح). فمن باب قياس الأولى دخول الحائض التي ليس لها يد في الحيض.

٥- دخول المشركين إلى المسجد، وقد حبسهم النبي صلى الله عليه وسلم فيه، وقد قال الله تعالى: (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) (التوبة: ٢٨)؛ والمسلم طاهر كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "المؤمن لا يَنْجس" (متفق عليه)، وفي رواية المسلم "لا يُنجّس".

وله قصة، أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي أبا هريرة رضي الله عنه في طريق من طرق المدينة وهو جنب، فانسل ففقده النبي صلى الله عليه وسلم، فلما جاء قال: أين كنت يا أبا هريرة؟

قال: يا رسول الله، إنك لقيتني وأنا جنب، فكرهت أن أجالسك حتى أغتسل، فقال: "سبحان الله! إن المؤمن لا ينجس".

وعدم النجاسة هنا يحمل على طهارة المسلم، فهو ليس نجسًا كالكافر، لقوله تعالى: (إنما المشركون نجس)؛ نعم يجنب المسلم، ويمنع من الأمور التعبدية، لكن لا يصير نجسًا يمنع من المصاحبة وغيرها.

فكيف يمنع المسلم من دخول المسجد ويجوز للكافر؟

ويجاب عن ذلك بأن هذا من باب الضرورات، ولكي يطلع المشركون على أحوال المسلمين فربما يؤدي ذلك إلى دخولهم الإسلام، وقد حدث هذا كما في قصة ثمامة بن أثال رضي الله عنه.

٦- حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن مبيت أهل الصفة في المسجد... وفيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه: "يا أبا هر، قلت لبيك يا رسول الله. قال: الحق بأهل الصفة ادعهم لي".

قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل، ولا مال ولا على أحد... (رواه البخاري ومسلم وغيرهما).

فلا شك أن منهم من كان يحتلم، فما نهووا عن ذلك.

ويجاب عن ذلك أن هذا من باب الضرورات؛ لأن الهجرة كانت واجبة للمدينة، وهؤلاء لم يكن لهم مأوى إلا المسجد، والضرورة تقدر بقدرها.

رابعًا: الترجيح:

بعد استعراض أدلة المانعين والمجوّزين لدخول الحائض إلى المسجد، رأينا أن الأدلة إما صحيحة غير صريحة تحتمل الرأيين، أو صريحة غير صحيحة.

يقول القرطبي: "ورخصت طائفة في دخول الجنب المسجد، واحتج بعضهم بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "المؤمن ليس بنجس"؛ قال ابن المنذر: وبه نقول. وقال أحمد وإسحاق في الجنب: إذا توضأ لا بأس أن يجلس في المسجد، لأثر عطاء بن يسار. (انظر تفسير القرطبي ٢٠٦/٥ - ٢٠٨).

قال الألباني -بعد أن ساق أدلة المجوزين والمانعين-: "فتبين مما تقدم أنه لا يثبت حديث في تحريم دخول الحائض، وكذا الجنب إلى المسجد (انظر الثمر المستطاب ٧٤٣/٢ - ٧٥٥).

قلت: أرى -والله أعلم- أنه يجوز دخول الحائض المسجد إن كان هناك حاجة لذلك، كحضور درس علم أو عقد زواج أو ما شابه ذلك. فليس ثمة دليل صريح صحيح للمنع، وكلها دلالات مفهوم واستنباط، والدليل الصريح في المنع وهو حديث: "لا أحل المسجد لحائض ولا جنب"، لم يصح.

وقياس الحائض على الجنب قياس مع الفارق، فالجنب عليه الإسراع بإزالة الجنابة، وإن لن يجد ماءً تيمم، أما الحائض فأمرها ليس بيدها. هذا والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين.

لماذا يحرقون المصاحف؟!

إعداد د. أحمد سليمان

رئيس فرع بلبيس

الحمد لله الذي جعل القرآن نورًا مبينًا، وسلطانًا قويمًا، وصراطًا مستقيمًا، فهو الحجة والبيان، والفارق بين الحق والطغيان، والقائد للجنة ومن نأى عنه فهو في الجحيم والنيران.

فهو الضياء والنور وبه النجاة من الغرور، وفيه شفاء لما في الصدور، ومن خالفه من الجبابرة قصمه الله، ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والعروة الوثقى والمعتصم الأوفى، فكل من آمن به فقد وفق، ومن قال به فقد صدق، ومن تمسك به فقد هدي، ومن عمل به فقد فاز.

وما حسدنا أهل الكتاب على شيء أعظم مما يحسدوننا على كتاب الله الذي امتن الله به علينا، قال الله تعالى: « أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٤٩) ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا (٥٠) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا (٥١) أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا (٥٢) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا (٥٣) أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا » (النساء: ٥١- ٥٤).

شرف المسلمين بالقرآن:

فلا شرف لأهل الإسلام إلا بالقرآن والعمل به وتعظيمه وتوقيره. قال الله تعالى: (لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (الأنبياء: ١٠).

عني بالذكر في هذا الموضع: الشرف، وقالوا: معنى الكلام: لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه شرفكم. وذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه. تفسير الطبري (١٨/ ٤١٥).

فالقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، والحجة البالغة، والنعمة الباقية، وهو إعلام المسلمين الصادق، ومنبع التوجيه والتربية، وهو الفصل ليس بالهزل، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل

به أُجر، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم.

قال تعالى: «قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ» (المائدة: ١٥).

وقال -عز اسمه-: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ» (النحل: ٨٩).

ومن إكرام القرآن النهي عن السفر بالمصحف إلى بلاد العدو مخافة أن يهان، فعَنْ عَبْد اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ يَنْهَى أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ. (صحيح البخاري(٢٩٩٠)، صحيح مسلم (١٨٦٩) واللفظ له)

قال ابن الجوزي: والإشارة بالقرآن إلى المصحف. وإنما حذر عليه من إهانة العدو إياه بالتمزيق وغيره، وفي هذا بيان احترام المصحف. كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/٥٤٩).

وقال ابن بطال: ومعنى النهى عن السفر به إلى أرض العدو خشية أن يناله العدو ولا يكرموه، وقد أخبر الله أنه في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة (وهم الملائكة. شرح صحيح البخاري لابن بطال(١٥٠/٥)

وقال ابن عبد البر: أجمع الفقهاء أن لا يسافر بالقرآن إلى أرض العدو في السرايا والعسكر الصغير المخوف عليه واختلفوا في جواز ذلك في العسكر المأمون الكبير ؛ فقال مالك لا يسافر فيه بالقرآن إلى أرض العدو ولم يفرق بين العسكر الكبير والصغير ؛ وقال أبو حنيفة يكره أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو إلا بالعسكر العظيم فإنه لا بأس بذلك.... ومعلوم أن من تنزيه القرآن وتعظيمه إبعاده عن الأقذار والنجاسات وفي كونه عند أهل الكفر نقض له بذلك وإهانة له وكلهم أنجاس لا يغتسلون من نجاسة ولا يعافون ميتة. الاستذكار(٢٢/٥).

وقال الإمام النووي: أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن العزيز على الإطلاق وتنزيهه وصيانته، وأجمعوا على أن من جحد منه حرفا مما أجمع عليه أو زاد حرفا لم يقرأ به أحد وهو عالم بذلك فهو كافر. قال الامام الحافظ أبو الفضل القاضي عياض رحمه الله: اعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشيء منه أو سبهما أو جحد حرفا منه أو كذّب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر، أو أثبت ما نفاه أو نفي ما أثبته وهو عالم بذلك أو يشك في شيء من ذلك: فهو كافر بإجماع المسلمين، وكذلك إذا جحد التوراة والإنجيل أو كتب الله المنزلة أو كفر بها أو سبها أو استخف بها فهو كافر. (التبيان في آداب حملة القرآن ص١٦٤).

وقال النووي مبينًا مسألة صيانة المصحف واحترامه: أجمع المسلمون على وجوب صيانة المصحف واحترامه، قال أصحابنا وغيرهم: ولو ألقاه مسلم في القاذورة والعياذ بالله تعالى صار الملقي كافرًا، قالوا: ويحرم توسده بل توسد آحاد كتب العلم حرام، ويستحب أن يقوم للمصحف إذا قدم به عليه لأن القيام مستحب للفضلاء من العلماء والأخيار فالمصحف أولى وروينا في مسند الدارمي بإسناد صحيح، عن ابن أبي مليكة، أن عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه كان يضع المصحف على وجهه ويقول كتاب ربي. (التبيان ص١٩٠).

ولهذا وضع العلماء مصنفات عدة لبيان آداب التعامل مع القرآن وآداب تلاوته لأنه ليس كباقي الكتب. قال الزرقاني: ليس فيما نرى ونسمع كتاب أحيط بهالة من الإجلال والتقديس كالقرآن الكريم. حتى لقد وصفه الحق جل شأنه بأنه كتاب مكنون وحكم بأنه لا يمسه إلا المطهرون وأقسم على ذلك إذ يقول: «فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ

عظيمٌ. إنَّه لَقرآنٌ كريمٌ. فِي كتاب مَكْنُون. لا يَمَسُّه إلا المُطهَّرون. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِين».

وحتى نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن السفر به إلى أرض العدو إذا خيف وقوع المصحف في أيديهم. مناهل العرفان (١/٤١٠).

الساب لكتاب الله ولنبيه مهزوم على الدوام:

روى البخاري في صحيحه عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال: "كان رجلا نصرانيا فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد نصرانيا فكان يقول: لا يدري محمد إلا ما كتبت له فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا فألقوه فحفروا له وأعمقوا في الأرض ما استطاعوا فأصبح وقد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه".

قال شيخ الإسلام: فهذا الملعون الذي افترى على النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما كان يدري إلا ما كتب له قصمه الله وفضحه بأن أخرجه من القبر بعد أن دفن مرارا وهذا أمر خارج عن العادة يدل كل أحد على أن هذا عقوبة لما قاله وأنه كان كاذبا إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا وأن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد إذ كان عامة المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا وأن الله منتقم لرسوله ممن طعن عليه وسبه ومظهر لدينه ولكذب الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد. الصارم المسلول (١١٦).

الله سبحانه يؤيد دينه بالرجل الفاجر:

ثبت في الصحيحين قول النبي صلى الله عليه وسلم: وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم(١١١).

فقد يكون هذا التأييد للدين من حيث أراد هدم الدين، فانقلب العمل عليه وخاب ظنه وسعيه، وتحول عمله من وسيلة هدم وإفساد إلى سبيل دعوة وإرشاد.

ومن ذلك قول الشاعر:

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب نشر العود

فعندما يضعف إيمان المسلمين ويهجرون كتاب ربهم ولا يعتزون به ويحافظون عليه، يقيض الله هذا الفاجر لينال من المصحف فتشتعل حرارة الإيمان في القلوب وتتزلزل أركان الديار بالغضب والحزن والثبور على ما يجري لكتاب الله ممن لا خلاق لهم ولا أصول؛ فتعود الغيرة للمسلمين وتزداد الأوبة للقرآن المبين وتنشط النفوس لتنهل من نبع اليقين، وكلام الوحي الأمين.

وتتفتق أذهان الكافرين للبحث عن جوهر هذا الكتاب المعظم عند المسلمين، فيقبلون عليه متمسكين ولآياته معتبرين ولأحكامه معظمين، وهل سمعتم يوما أعدادا من المسلمين خرجوا من الإسلام لأجل كتاب اليهود والضالين ؟! لكننا نسمع كل يوم عن أوبة غير المسلمين لأنهم خلي بينهم وبين سماع القرآن والذكر الحكيم.

فمن عظمة هذا الدين، أنه مهما اجتمعت عليه سموم الأقلام، وأحقاد الإعلام، والشرق والغرب، وكيد اليهود والنصارى، وسعي المنافقين، فإنه لا يزال قائما، ولو لم يُمتحن هذا الدين بمثل هذه الضغوط العظيمة والكيد الجبار، ومكر الليل والنهار، ما ظهر تفوقه، ولا بانت عظمته، فهم يحرقون المصحف لما يحملون من حقد دفين وكره متأصل في قلوب المعاندين.

فيعمدون إلى أعظم رمز فيدنسونه وأجل كتاب ليهينونه لكن ما ضر السحاب نبح الكلاب (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (يوسف: ٢١).

فالحمد لله على نعمة الإسلام وأن شرفنا بالقرآن ونسأله أن يميتنا على التوحيد والإسلام.

ثمرات التفاؤل
في الدنيا والآخرة

إعداد **الشيخ صلاح نجيب الدق**
عضو اللجنة العلمية فرع بلبيس

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

وَبَعْدُ: فإنَّ التفاؤل له تأثيرٌ كبيرٌ على سلوك المسلم وعلى علاقاته مع النَّاس. فالمسلم المتفائل يتوقع الخير والسعادة والنجاح في عمله، وينظر إلى المستقبل بنظرة إيجابية، والتفاؤل له ثمرات مباركة تعود على المسلم بالخير في الدنيا والآخرة، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

معنى التفاؤل:

التَّفَاؤُلُ: هُوَ انشراحُ قَلْبِ المسلم وإحْسَانه الظَّنَ بالله تعالى، وتَوَقُّع الخير بما يسمعه منَ الكلام الصالح. ويأتي التفاؤل بمعنى الاستبشار والأمل. (موسوعة نضرة النعيم- جـ٣- صـ١٠٤٦).

التَّفَاؤُلُ: مثْل أَنْ يكُونَ رجُل مَريض فيتَفَاءَلُ بمَا يَسْمع منْ كلام، فيَسْمَع آخَر يقُول: يَا سَالِم، أَوْ يَكُونُ طَالِب ضَالَّة فيَسْمع آخَر يَقُول: يا واجد، فيقَع في ظَنه أَنَّهُ يَبْرأ من مَرَضه، ويجدُ ضَالَّته. (النهاية في غريب الحديث- لابن الأثير- جـ٤- صـ٤٠٦).

التفاؤل وصية الله للمؤمنين:

جاءت آياتٌ كثيرةٌ في القرآن تحثَ المؤمنين عَلى التفاؤل بتأييد الله تعالى وَحفْظه لهم، وسوف نَذْكُرُ بعضاً منها:

(١) قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: (إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) (النحل:١٢٨).

(٢) قَالَ سُبْحَانَهُ: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ) (النور:٥٥).

(٣) قَالَ سُبْحَانَهُ: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ) (الروم:٤٧).

قَالَ أبو حيان الأندلسي (رَحمَهُ الله): "هَذه الآيةُ تبشيرٌ للرسول صلى الله عليه وسلم وأمته بالنَّصْر والظَّفر". (تفسير البحر المحيط- جـ٧- صـ١٧٣).

(٤) قَالَ سُبْحَانَهُ: (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ) (فصلت:٣٠:٣٢).

(٥) قَالَ تعالى: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ) (الصافات:١٧١:١٧٣): قَالَ الإمَامُ الطبري (رَحمَهُ الله): يَقُولُ تَعَالَى ذكْرُهُ: إنَّ حزْبَنَا وَأَهْلَ وِلَايَتنَا لَهُمُ الغَالبُونَ، وَلَهُمُ الظَّفرُ

وَالفَلاحُ عَلَى أَهْلِ الكُفْر. (تفسير الطبري- جـ١٩- صـ٦٥٨).

(٦) قَالَ تعالَى: (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ) (غافر:٥١): قال الإمامُ البغوي (رحمَهُ الله): أيْ: نَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذينَ آمَنُوا مَعَهُم بالانْتقام منْ أعْدائهم في الدُّنْيا وَالآخرَة. (تفسير البغوي- جـ٧- صـ١٥٧).

نبينا صلى الله عليه وسلم يحثنا على التفاؤل:

(١) عَنْ أَنَس بْن مَالك، رَضيَ اللهُ عَنْهُ، عَن النَّبيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، قَالَ: لَا عَدْوَى وَلَا طيرَةَ، ويُعْجبُني الفَأْلُ. قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: كَلمَةٌ طَيِّبَةٌ. (البخاري- حديث: ٥٧٧٦/ مسلم- حديث: ٢٢٢٤).

قَالَ ابنُ بَطَّال (رحمَهُ الله): جَعَلَ اللهُ في فِطَر النَّاس مَحَبَّةَ الكَلمَة الطَّيِّبَة وَالأُنْس بهَا كَمَا جَعَلَ فيهمُ الارْتياحَ بالمَنْظَر الأَنيق وَالمَاء الصَّافي وَإنْ كَانَ لَا يَمْلكُهُ وَلَا يَشْرَبُهُ. (فتح الباري- لابن حجر العسقلاني- جـ١٠- صـ٢٢٥).

(٢) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، رَضيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قيلَ: يَا رَسُولَ الله: مَا الفَأْلُ؟ قَالَ: الكَلمَةُ الصَّالحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُم. (مسلم- حديث: ٢٢٢٣).

(٣) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، رَضيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، يُعْجبُهُ الفَأْلُ الحَسَنُ، وَيَكْرَهُ الطِّيَرَةَ. (صحيح ابن ماجه- للألباني- حديث: ٣٥٣٦).

(٤) عَنْ أَبي مُوسَى الأَشْعَريِّ، رَضيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، إذَا بَعَثَ أَحَدًا منْ أَصْحَابه في بَعْض أَمْره، قَالَ: بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا. (مسلم- حديث: ١٧٣٢).

تفاؤل زوجة عمران:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: (إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ) (آل عمران:٣٥:٣٦).

زَوْجَةُ عمْرَانَ، رَضيَ اللهُ عَنْهَا، قَامَتْ بتَسْميَة ابْنَتهَا (مَرْيَم) تَفَاؤُلًا أَنْ تَكُونَ منَ العَابدَات الصَّالحَات؛ لأَنَّ اسْمَ (مَرْيَم) في لُغَتهمْ مَعْنَاهُ: العَابدَةُ. فَكَانَتْ مَرْيَمُ، رَضيَ اللهُ عَنْهَا، منْ أَجْمَل النِّسَاء في وَقْتهَا وَأَفْضَلهنَّ عبَادَةً. (تفسير البغوي- جـ١- صـ٤٣٢).

نبينا صلى الله عليه وسلم هو القدوة في التفاؤل:

(١) عَن المسْوَر بْن مَخْرَمَةَ، رَضيَ اللهُ عَنْهُ، (في حَديث صُلح الحُدَيْبيَة) قَالَ: لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرو، قَالَ النَّبيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ منْ أَمْركُمْ. (البخاري: حديث: ٢٧٣١).

قَالَ الإمَامُ بدرُ الدين العيني (رحمَهُ الله): تفاءل النَّبيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، باسْم سُهَيل بن عَمْرو على أن أمرهم قد سهل لهم. (عمدة القاري- للعيني- جـ١٢- صـ١٢).

(٢) وعَنْ خَبَّاب بْن الأَرَتِّ، رَضيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: شَكَوْنَا إلَى رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ في ظلِّ الكَعْبَة، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ:كَانَ الرَّجُلُ فيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ في الأَرْض، فَيُجْعَلُ فيه، فَيُجَاءُ بالمنْشَار فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسه فَيُشَقُّ باثْنَتَيْن، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلكَ عَنْ دينه، وَيُمْشَطُ بأَمْشَاط الحَديد مَا دُونَ لَحْمه منْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلكَ عَنْ دينه، وَالله لَيُتمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسيرَ الرَّاكبُ منْ صَنْعَاءَ إلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إلَّا اللهَ، أَو الذِّئْبَ عَلَى غَنَمه، وَلَكنَّكُمْ تَسْتَعْجلُونَ. (البخاري- حديث: ٣٦١٢).

(٣) عَنْ سَهْل ابْن الحَنْظَليَّة، رَضيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُمْ سَارُوا مَعَ رَسُول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، يَوْمَ حُنَيْنٍ فَأَطْنَبُوا السَّيْرَ، حَتَّى كَانَتْ عَشيَّةً فَحَضَرْتُ الصَّلَاةَ، عنْدَ رَسُول الله، صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَارسٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إنِّي انْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْديكُمْ حَتَّى طَلَعْتُ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا، فَإذَا أَنَا بهَوَازنَ عَلَى بَكْرَة آبَائهمْ بظُعُنهمْ، وَنَعَمهمْ، وَشَائهمْ، اجْتَمَعُوا إلَى حُنَيْنٍ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ وَقَالَ: (تلْكَ غَنيمَةُ المُسْلمينَ غَدًا إنْ شَاءَ

اللَّه) (صحيح أبي داود- للألباني- حديث: ٢٥٠١).

(٤) عَنْ عليّ بْن أبي طالب، رَضيَ اللَّه عَنْه، قال: لَمَّا وُلِدَ الحَسَنُ سَمَّيْتُهُ حَرْبًا، فجاء رَسُولُ اللَّه، صلى الله عليه وسلم، فقال: أرُوني ابْني، ما سَمَّيْتُمُوهُ؟ قال: قُلْتُ: حَرْبًا. قال: بَلْ هُوَ حَسَنٌ. فلمَّا وُلِدَ الحُسَيْنُ سَمَّيْتُهُ حَرْبًا، فجاء رَسُولُ اللَّه، صلى الله عليه وسلم، فقال: أرُوني ابْني، ما سَمَّيْتُمُوهُ؟ قال: قُلْتُ: حَرْبًا. قالَ: بَلْ هُوَ حُسَيْنٌ. فلمَّا وُلِدَ الثَّالثُ سَمَّيْتُهُ حَرْبًا، فجاءَ النَّبيُّ، صلى الله عليه وسلم، فقال: أرُوني ابْني، ما سَمَّيْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: حَرْبًا. قال: بَلْ هُوَ مُحَسِّنٌ. (حديث حسن) (مسند أحمد- جـ٢- صـ١٥٩- حديث ٧٦٩).

(٥) فتح خيبر: عَنْ أنَس بْن مَالك، رَضيَ اللَّه عَنْه: أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم خرج إلى خَيْبرَ، فجاءها ليلاً، وكان إذا جاء قَوْمًا بليْل لا يُغيرُ عليْهمْ حتَّى يُصْبحَ، فلمَّا أصْبحَ خَرَجَتْ يَهُودُ بمَساحيهمْ ومَكاتلهمْ، فلمَّا رَأوْهُ قالُوا: مُحَمَّدٌ واللَّه، مُحَمَّدٌ والخَميسُ، فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: اللَّهُ أكْبرُ، خَربَتْ خَيْبرُ، إنَّا إذا نَزَلْنا بساحة قَوْمٍ، فساءَ صَباحُ المُنْذَرينَ. (البخاري- حديث: ٢٩٤٥).

قَوْلُهُ: (خَربَتْ خَيْبرُ): تفاؤلاً بانهزامهمْ وانْكسارهمْ وخراب ديارهمْ.

تفاءل رَسُولُ اللَّه، صلى الله عليه وسلم، حينما رأى اليهودَ يخرجون بفؤوسهم، واستبشر أن تكون هذه الآلات علامة هدم حصونهم، وتدمير ديارهم بإذن الله تعالى. فكان مولاه سبحانه عند حسن ظنه، صلى الله عليه وسلم.

(٦) عَنْ أنَس بْن مَالك، رَضيَ اللَّه عَنْهُ: أنَّ النَّبيَّ، صلى الله عليه وسلم، كانَ يُعْجبُهُ إذا خَرَجَ لحاجته أنْ يَسْمعَ: يا راشدُ، يا نَجيحُ. (صحيح الترمذي- للألباني- حديث١٣١٦).

قَوْلُهُ: (كَانَ يُعْجبُهُ): أيْ يَسْتحْسنُهُ ويَتفاءلُ به. قَوْلُهُ: (يا رَاشدُ) أيْ: وَاجدُ الطَّريق المُسْتقيم. قَوْلُهُ: (يا نَجيحُ): أيْ: مَنْ قُضيَتْ حَاجَتُهُ. (مرقاة المفاتيح- علي الهروي- جـ٧. صـ٢٩٠٠).

صور من التفاؤل:

(١) عمر بن الخطاب:

جاء كتابُ عبْد اللَّه بْن عتْبانَ منَ الكُوفة إلى عُمرَ بْن الخطَّاب، رَضيَ اللَّه عَنْه، مع قَريب بْن ظَفر العبْديّ، بأنَّ الفُرسَ قد اجْتمَعُوا، وهُمْ مُتحرّقُون مُتذامرُون على الإسْلام وأهْله، وأنَّ المصْلحةَ يا أميرَ المُؤْمنين أنْ نَقْصدَهُمْ فنُعاجلَهُمْ عمَّا هَمُّوا به وعَزَمُوا عليْه من المَسير إلى بلادنا. فقال عُمرُ لحامل الكتاب: ما اسْمُكَ؟ قال: قَريبٌ. قال: ابْنُ منْ؟ قال: ابْنُ ظَفر. فتفاءلَ عُمرُ بذلكَ، وقال: ظَفرٌ قَريبٌ. ثُمَّ أمرَ فنُودي: الصَّلاةُ جامعةٌ، فاجْتمعَ النَّاسُ، وكانَ أوَّلَ منْ دخلَ المَسْجدَ لذلكَ سعْدُ بْنُ أبي وقَّاص، رَضيَ اللَّه عَنْهُ، فتفاءلَ عُمرُ أيْضًا بسعْد. (البداية والنهاية- لابن كثير- جـ١١- صـ١١٤).

(٢) سعد بن أبي وقاص:

أرسل سعدُ بْنُ أبي وقَّاص، رَضيَ اللَّه عَنْهُ، رُسُلاً إلى يزْدجرْدَ، مَلك الفُرْس، فقال يزْدجرْدُ: لو قَتَلَ أحدٌ الرُّسُلَ قبْلي لقَتلتكم، ثم أراد أن يُهين المسلمين فطلب حمْل تُراب، فقال: انظروا أشرف واحد من المسلمين احملوه على ظهْره، فقام عاصمُ بْنُ عُمر وقال: أنا أشرفهم، أنا سيدُ هؤلاء. فحمل التراب على عُنقه، وخرج إلى راحلته فركبها، وأخذ التراب، فحملهُ حتى أتى سعدًا، فقال سَعْدٌ لهُ: أبشرْ، فقد أعطانا الله تعالى تراب أرضهم. (تاريخ ابن خلدون- جـ٢- ص٥٢٧: ٥٢٨).

(٣) عبد الله بن عمر:

دَخلَ عبدُ اللَّه بْنُ عُمرَ بْن الخطَّاب، رَضيَ اللَّه عَنْهُمَا، المَسْجدَ، فرأى قَوْمًا يُصَلُّونَ، فقَالَ: يَا أيُّهَا النَّاسُ أبْشرُوا، فإنَّهُ ما منْكُمْ منْ بَعْث النَّار أحَدٌ، ثُمَّ قَرَأ: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ) (المدثر: ٤٢:٤٣) (شرح السنة- للبغوي- جـ٢- صـ١٧٤).

(٤) أحمد ابن تيمية:

طَلَبَ السُّلْطَانُ النَّاصرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلاوُونَ

(رحمهُ الله) من ابن تيمية (رحمهُ الله): أنْ يقفَ معهُ في المعْركة (وذلك في معْركة شقْحب ضدَّ التَّتار)، فقال له الشيخ ابنُ تيمية: السُّنَّة أنْ يقفَ الرَّجلُ تحْت راية قومه، ونحْنُ منْ جيْش الشام لا نقفُ إلاَّ معهُمْ. وحرض ابنُ تيْمية السُّلْطانَ على القتال وبشَّره بالنصر، وجعل يحلفُ بالله الذي لا إله إلاَّ هو إنَّكمْ منْصُورُون عليْهمْ في هذه المرَّة. فيقُولُ لهُ الأمراءُ: قُلْ إنْ شاء الله، فيقُولُ إنْ شاء الله تحْقيقًا، لا تعْليقًا. وأفْتى النَّاسَ بالفطر مُدَّة قتالهمْ وأفطر هُو أيْضًا، وكان يدورُ على الأجناد والأمراء فيأكلُ منْ شيْءٍ معهُ في يده ليُعْلمهُمْ أنَّ إفطارهُمْ ليتقوَّوْا على القتال أفْضلُ فيأكُلُ النَّاسُ. وكان يتأوَّلُ قوْلهُ صلى الله عليه وسلم (إنَّكُمْ مُلاقُوا العدُوِّ غدًا، والفطرُ أقْوى لكُمْ) فانتصر المُسْلمون على التتار في ذلك اليوم.

ولله الحمْدُ والمنَّةُ. (البداية والنهاية- لابن كثير- جـ ١٤ صـ٢٥: ٢٦).

(٥) قال القاضي أحمدُ البرْقيُّ (رحمهُ الله): رأيْتُ امْرأةً بالبادية، وقد جاء البـرْدُ فذهب بزرع كان لها، فجاء النَّاسُ يعزونها، فرفعت طرفها (عينيها) إلى السَّماء، وقالت: اللهُمَّ أنت المأمولُ لأحسن الخلف، وبيدك التعويضُ عمَّا تلف، فافعل بنا ما أنت أهله، فإنَّ أرزاقنا عليك، وآمالنا مصروفة إليك. قال البرقي: فلم أبرح، حتَّى جاء رجلٌ من الأجلاء، فحدث بما كان، فوهب لها خمس مائة دينار. (الفرج بعد الشدة- للتنوخي- جـ ١- صـ١٨١).

التفاؤل ببقاء اللغة العربية:

اللغةُ العربيةُ هي لغةُ القرآن الكريم، الذي أنزله الله تعالى على قلب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ونحنُ المسلمون نتفاءل بقوله سُبحانهُ في كتابه العزيز (إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ) (الحجر:٩) بأنَّ هذه اللغة المباركة لن تنقرض كما انقرضت باقي اللغات القديمة، وسوف تبقى بإذن الله تعالى.

دعوة للتفاؤل:

ينبغي للمسلم أن يكون متفائلاً في حياته، وأن يُبشر النَّاسَ بالخير، اتباعًا للنبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يتفاءل في وقت الأزمات، كما حدث منه صلى الله عليه وسلم عندما حاصر الأحزابُ المدينة، فبشَّر أصحابه الكرام بأنهم سوف يفتحون بلاد فارس والروم، ويملكون كنوز كسرى وقيصر.

إن التفاؤل المبني على حُسن الظَّن بالله تعالى من الصفات الرئيسة لأي شخصية مسلمة ناجحة، فالتفاؤل يزرعُ الأمل، ويُعمقُ الثقة بالنفس، ويحفزُ على النشاط والعمل، وهذه كلها عناصر لا غنى عنها لتحقيق النجاح.

إن تفاؤل المسلم معناه الأمل، والإيجابية، والاتزان، والتعقل في جميع أمور الحياة. والتفاؤل لكي يصل بالمسلم إلى شاطئ السعادة والنجاح، لا بد يكون مقترنًا بالعمل الدائم الجاد.

فوائد التفاؤل:

(١) التَّفاؤُلُ: فيه حُسْنُ الظَّنِّ بالله تعالى.

(٢) التَّفاؤُلُ: يجلبُ السَّعادة إلى النَّفْس والقلب.

(٣) التَّفاؤُلُ: فيه ترويحٌ للمُؤْمن وسُرُورٌ له.

(٤) التَّفاؤُلُ: فيه تقويةٌ للعزائم وباعثٌ على الاجتهاد في العمل.

(٥) التَّفاؤُلُ: فيه اقتداء بالسُّنَّة المطهَّرة والأخْذ بالأسْوة الحسنة: حيث كان النَّبيُّ، صلَّى الله عليْه وسلَّم، يتفاءل في حروبه وغزواته.

(٦) التفاؤل: من أعظم أسباب النصر على الأعداء.

(٧) المتفائلُ أفضلُ النَّاس صحةً: لأنَّ الشُّعُور بالسعادة والتفاؤل يعكسُ آثاراً إيجابية على صحة الإنسان. (موسوعة نضرة النعيم- جـ٣- صـ١٠٤٩).

وآخرُ دعوانا أن الحمْدُ لله ربِّ العالمين. وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا مُحمَّد، وعلى آله، وأصْحابه، والتَّابعين لهُمْ بإحْسان إلى يوم الدِّين.

ورحل الفارس بعدما ترجل

هز القلوب وفاة الأستاذ الفاضل: جمال سعد حاتم رئيس تحرير مجلة التوحيد الأسبق، والكاتب فيها، ورئيس مجلس إدارة فرع ميت حمل ، وذلك بعد معاناة مع المرض لسنوات طوال، فمات صابرًا محتسبًا لا يتشكي لأحد، ونحسبه قد صبر على مرضه ذلك صبرًا جميلاً ، فنسأل الله أن يجعل ذلك كفارة له. فقد قال النبي: « عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير: إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ».

إعداد **د. محمد عبد العزيز**

وقد وُلد الأستاذ الراحل، جمال سعد حاتم في عام: ١٣٧٩ للهجرة - ١٩٦٠ للميلاد في قرية من قرى ريف مصر العامرة التابعة لمركز ومدينة بلبيس وهي قرية السعيدية. فقد نشأ وتربى فيها وشهدت هذه القرية منه نشاطًا دعويًا مبكرًا يليق بالشاب الغيور على الإسلام ودعوة التوحيد.

وقد حصل على الشهادة الثانوية الأزهرية بمجموع كبير، لكنه رغب في الالتحاق بكلية اللغة العربية قسم الصحافة والإعلام. وهناك تكونت شخصيته الدعوية المميزة.

وعمل الأستاذ الفاضل، بجريدة التعاون، والتحق في هذه الفترة بمعهد التعاون وحضر فيه دبلومة في الإعلام التعاوني.

ثم عمل - رحمه الله تعالى - صحفيًا بوكالة الندوة السعودية.

ثم التحق للعمل بمجلة التوحيد عام: ١٤١٣ للهجرة - ١٩٩٢ للميلاد. وذلك في بداية ترأس فضيلة الشيخ: محمد صفوت نور الدين - رحمه الله تعالى - مجلس إدارة جمعية أنصار السنة المحمدية في مصر، وكان رئيس تحرير مجلة التوحيد آنذاك فضيلة الشيخ: محمد صفوت الشواف في نائب الرئيس العام للجمعية - رحمه الله تعالى - فشهد رئاسة علمين من أعلام الدعوة بمصر كان لهما أثر بالغ على الجمعية وعلى الحياة الدعوية. ولا شك أنهما أثرا في توجهاته.

وقد تدرج الأستاذ الفاضل في العمل في المجلة حتى عين سكرتيرًا للتحرير عام: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م وعين في هذه الفترة مديرًا لمكتب مجلة الفرقان الكويتية في القاهرة.

وظل سكرتيرًا لتحرير مجلة التوحيد حتى توفي فضيلة الشيخ صفوت الشواف في ١٧ جمادى الأولى ١٤٢١ للهجرة - ١٧ أغسطس ٢٠٠٠ للميلاد، ثم خلفه فضيلة الشيخ الدكتور: جمال المراكبي الرئيس العام الأسبق في رئاسة التحرير إلى عام: ١٤٢٢ للهجرة ، فعمل الأستاذ الفاضل: جمال سعد معه سكرتيرًا للتحرير لمدة عام.

ثم عين الأستاذ الفاضل جمال سعد رئيسًا لتحرير المجلة في شهر جمادى الأولى لعام ١٤٢٢ للهجرة إلى عام: ١٤٤٠ للهجرة - ٢٠١٩ للميلاد، ثم أحيل للتقاعد، مع تعيينه مستشارًا للتحرير حتى وفاته في ٢٣ محرم ١٤٤٥ للهجرة - ١٠ أغسطس ٢٠٢٣ للميلاد عن عمر يناهز ٦٣ عامًا.

وكما كان هذا الفاضل إداريًا ناجحًا خطا بالمجلة خطوات ثابتة حتى كانت من أكثر المجلات الإسلامية والعلمية توزيعًا، بل من أكثر المجلات قاطبة توزيعًا في مصر ومن أكثرها فائدة للقارئ مع أخواتها من المجلات العلمية التي تنير درب السالكين إلى الله. فقد كان أيضًا فارسًا للكلمة أمتع قراءه ومحبيه برصيد من المقالات والتقارير الإخبارية والحوارات الصحفية الماتعة.

وكانت أولى مقالاته في مجلة التوحيد في هذا الوقت تقريرًا إخباريًا كتبه في باب: العالم الإسلامي بالمجلة، بعنوان: التنافس الدولي في الجمهوريات الإسلامية (الكومنولث). وذلك في العدد التاسع، للسنة الحادية والعشرين، عدد شهر: رمضان ١٤١٣ للهجرة - ١٩٩٣ للميلاد.

ثم توالت مقالاته حتى بلغت: ٢٣٩ مقالاً بالمجلة وحدها.

وكان آخر مقال حرره بالمجلة بعنوان: قيم الوسطية والاعتدال في نصوص الكتاب والسنة ، وذلك في العدد: ٥٧٦، وهو عدد شهر ذي الحجة ١٤٤٠ للهجرة. فرحم الله الفقيد الفاضل، وجزاه عنا خيرًا وتجاوز عنه، وأبدله بالحسنات إحسانًا وبالسيئات عفوًا منه وغفرانًا.

رحيل رئيس التحرير الأسبق جمال سعد حاتم .. وقطوف من كتاباته

إعداد ربيع محمود

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فقد ودعت مجلة التوحيد - الغراء - وجمعية أنصار السنة المحمدية علمًا من أعلامها، وقلمًا من أقلامها، ورئيسًا من رؤوساء تحريرها الأوفياء، إنه أخونا الأكبر، ووالدنا الأستاذ جمال سعد حاتم، رئيس التحرير الأسبق، رحمه الله.

وقد عملت مع الأستاذ جمال- رحمه الله- (بالقسم الفني بالمجلة) منذ عام ١٤١٧هـ في عهد الرئيس العام السابق الشيخ محمد صفوت نور الدين، والشيخ صفوت الشوادفي، نائب الرئيس العام، ورئيس التحرير- وقتئذ- وكان الأستاذ جمال في ذلك الوقت سكرتيرًا للتحرير، وكان شعلة نشاط، من خلال الحوارات التي كان يجريها في الأزهر مع علمائه، وكذلك الحوارات التي كان يجريها داخل مصر وخارجها مع أعلام الدعوة في ذلك الوقت، ولما ترأس تحرير المجلة قام بتطوير المجلة، وكانت أمنيته- رحمه الله- أن تصل نسخ طباعتها إلى مليون نسخة شهريًا ، فنسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء.

وهذه قطوف من كتاباته التي نُشرت بمجلة التوحيد في أعداد متفرقة:

فقد كتب في مقال: «إنه هاذم اللذات» (١٤٢١هـ):

«الزمان: مساء الخميس، ليلة الجمعة ١٨ جمادى الأول ١٤٢١هـ.

الضيف: هاذم اللذات، مفرق الجماعات مباعد الطيات، ومكدر الشهوات، مسكت النجيَ، مفرق النَدى، زائر غير محبوب، وواتر غير مطلوب، عظمت سطوته، وتتابعت عليه عَدْوَتُه، إنه الموت الذي ينتهي إليه كل حي، والذي لا يدفعه عن نفسه ولا عن غيره بشر، إنه الموت الذي يفرق بين الأحبة، ويمضي في طريقه لا يتوقف ولا يلتفت، ولا يستجيب لصرخة ملهوف، ولا لحسرة مفارق، ولا لرغبة راغب، ولا لخوف خائف،

فالموت حتم لازم، لا تمنع منه حصانة القلاع، ولا يحول دونه الحجاب، ولا ترده الأبواب...

وفي حواره مع إمام وخطيب المسجد الأقصى (١٤٢١هـ) قال:

«..... ما أشبه اليوم بالبارحة، عدو الأمس هو عدو اليوم.. والعالم الإسلامي يقف موقف المتفرج، ولكن المولى سبحانه قد وعد، ووعده الحق .. وعن المسجد الأقصى الأسير والقدس الشريف.. وآلام وآمال المسلمين في فلسطين الإسلامية، كان لنا هذا الحوار مع فضيلة الشيخ: جمعة سلامة، إمام وخطيب المسجد الأقصى....».

وكتب في مقال «ابن عثيمين في رحاب الله» (١٤٢١هـ) يقول:

«.... ودعت الأمة الإسلامية يوم الأربعاء ١٥ شوال ١٤٢١هـ، الشيخ: محمد بن صالح العثيمين، عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، وخاتمة الكبار من علماء الحنابلة وفقهائهم في هذا العصر.

وقد ظل الشيخ رحمه الله صابرًا محتسبًا رافضًا للعلاج الكيماوي، ونزولًا عند رغبة ولاة الأمر بالإلحاح عليه بالعلاج، ثم سافر منذ بضعة أشهر إلى أمريكا للعلاج، ولكنه عاد سريعًا ليواصل مهامه ووظائفه العلمية بالتدريس والإفتاء في مدينة عنيزة وفي المسجد الحرام بمكة المكرمة....».

وفي مقال بعنوان : «رمضان ومراجعة النفس» (رمضان ١٤٢٣هـ) يقول:

«.... كنا في العام الماضي في مثل هذه الأيام نرقب شهر الصيام وننتظره، وكان معنا من مضى وغاب عنا، عام كامل بأيامه ولياليه قد قوّض خيامه، وطوى بساطه، وشدّ رحاله، بما قدمناه فيه من خير أو شر، وها نحن نستقبل رمضان مرة أخرى، ونقف مع النفس وقفة حساب ومراجعة، فقد كان معنا في شهر الصيام الماضي أناس شاركونا في الصيام والقيام والقراءة والدعاء، ثم ماذا كان شأنهم ؟ منهم من فارق الحياة وهو الآن تحت طبقات الثرى، ومنهم من يرقد الآن على فرش المرض لا يستطيع صيامًا ولا قيامًا».

وكتب في مقال بعنوان : «استقبال عام هجري جديد» (١٤٢٤هـ) يقول:

«... رحل هذا العام وهو يطوي بساطه، ويقوض خيامه، ويشد رحاله، وكل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها، مضى العام وتصرمت أيامه، وتفرقت أوصاله، وقد حوى بين جنبيه حكمًا وعبرًا وأحداثًا وعظات، فلا إله إلا الله، كم شقي فيه أناس، وكم سعد فيه آخرون كم طفل قد يُتّم، وكم من امرأة قد ترمّلت، وكم من مريض قد تعافى، وسليم في التراب قد توارى، قوم يشيعون ميتهم وآخرون يزفون عروسهم، دار تفرح بمولود، وأخرى تُعزّى بمفقود، عناق وعبرات من شوق اللقاء، وعبرات تهطل من لوعة الفراق، وآلام تنقلب أفراحًا، وأفراح تنقلب أتراحًا، وهكذا، فسبحان الله ما أحكم تدبيره، وما أجل صنعه، والعاقل من اتعظ بأمسه واجتهد في يومه، واستعد لغده، ومن أعظم الحكم في تعاقب السنين وتغير الأحوال والأشخاص أن ذلك دليل على كمال عظمة الله تعالى وقيوميته.......».

وفي مقال: «جراحات الأمة بين دور الأزهر وشراسة الأعداء» (١٤٢٤هـ) يقول:

«...إننا نطالب بتفعيل دور الأزهر، والتمسك بدوره التاريخي في إعداد الدعاة، وتخريج الأكاديميين في مختلف العلوم من خلال مناهج تواكب المتغيرات التكنولوجية، وتحافظ على الثوابت الإسلامية، وتقاليد المجتمعات المسلمة....».

وفي مقال: «الاستعداد ليوم المعاد» (١٤٢٥هـ) قال:

«.... الجزاء من جنس العمل: الجزاء بالجنة على الأعمال الصالحة، والعقاب بالنار على الأعمال الشريرة في غاية المناسبة والمجانسة، فإن الجزاء من جنس العمل، فلما كانت الأعمال الصالحة تتنوع في حقائقها ومنافعها كان نعيم الجنة منوعًا في حقائقه ومنافعه وطعومه ولذاته، ولما عبد أهل الجنة ربهم بالغيب ولم يروه تجلى الله

لهم، فأكرمهم بلذة النظر إلى وجهه الكريم، وأسمعهم جلال كلامه العظيم، ولما علم الله منهم العزم والتصميم والإرادة الجازمة على دوام عبادة الله وطاعته أدام الله عليهم النعيم المقيم .

ونحن بحاجة إلى ذكر الجنة والنار ليلنا ونهارنا لتستقيم أحوالنا وتصلح أعمالنا، ولا سيما في هذا العصر الذي طغت فيه المادة وتظاهرت الفتن وانتشرت، وقلّ الناصح وضعف الإيمان، وتزينت الدنيا بزخرفها وزهرتها، وأثقلت الكواهل بكثرة مطالبها، وأرهقت النفوس بتشعب حاجاتها، حتى صار التحاب من أجلها والتباعض من أجلها، وكتب.

في مقال: «دعوة للمحاسبة ومراجعة النفس» (١٤٢٥هـ):

«.....نودّع شهر رمضان وقد فاز من فاز، وخسر من خسر، فقد كنا بالأمس نترقب مجيئه، ولقد جاءنا وولى، وهكذا كل مستقبل في هذه الحياة سوف ينتهي، ولكل أجل كتاب، ولكل نبأ مستقر.....».

وكتب في مقال: «من شمائل النبي صلى الله عليه وسلم» (١٤٤٧هـ) قال:

«....إن من كمال خلق المرء حسن صحبته ومعاشرته لأهله وكمال أدبه في مخالطته لغيره، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مضرب المثل في حُسن الصحبة وجميل المعاشرة وأدب المخالطة؛ وكان صلى الله عليه وسلم يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم، ويجلسهم في حجره، ويجيب دعوة الحرّ والعبد والمسكين ويعود المرضى أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه خُيّر بين أن يكون نبيًا ملكًا، أو نبيًا عبدًا، فاختار أن يكون نبيًا عبدًا، وأخبر أن الله تعالى كافأه على اختياره العبودية بأن يكون سيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، فاختياره العبودية على الملك أكبر مظهر من مظاهر التواضع المحمدي....».

وفي مقال: «الإجازة الصيفية والتوجيهات النبوية» (١٤٢٧هـ) قال:

«....إن الأمة التي تملأ وقتها بقراءة المفيد، وتعلم العلم النافع، ترقى في سلم التقدم والحضارة، وتكون قادرة على فهم الحياة، وإصلاح حالها، وبلوغ أهدافها، أما الأمة التي لا تتعدى ثقافتها ميادين اللهو واللعب والأزياء، ستظل تابعة ذليلة في مؤخرة الركب لا وزن لها. قال عمر بن الخطاب: (إن هذه الأيدي لابد أن تُشغل بطاعته، قبل أن تشغلك بمعصيته) .....».

وفي مقال: «تعبئة القلوب والأقلام للدفاع عن نبي الإسلام» (١٤٢٩هـ) قال:

«....مع اشتداد الحملة التي يشنها أعداء الإسلام ضد الإسلام وأهله، وهجمتهم على النبي الأمين صلى الله عليه وسلم، فالواجب على المسلمين قادةً وعلماء، وحكامًا ورعية؛ أن يدفعوا تلك الأكاذيب التي تُوجه للإسلام وأهله ونبيه الأمين صلى الله عليه وسلم، وأن يقفوا لها بالمرصاد، وأن يعلموا أنها بليّة ابتلوا بها، وليقتدوا بسيد الأنبياء والمرسلين، عليه أفضل الصلاة والسلام، وأن يرجعوا رجوعًا حقيقيًا للمحبة الصادقة لله جل وعلا، ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وإيثارهما على كل المحاب والمُشتهيات.

وكتب في مقال: «مجلة التوحيد بين سبعين عامًا من الصحافة الإسلامية وتاريخ من الانتماء والوطنية» (١٤٣٥هـ) قال:

«....إن مجلة التوحيد التي تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية، وهي الجماعة الدعوية المعروفة للقاصي والداني منذ نشأتها، وهي في عامها الثالث والأربعين، تدعو إلى الله سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة، لم يثبت في يوم من الأيام أنها قد انحرفت عن المنهج القويم إلى تأجيج، أو تحزّب، أو انحياز لجماعة أو حزب، وإنما كان نهجها من خلال فكر صحيح، ودعوة ناصعة جلية نابعة من القرآن والسنة بفهم سلف الأمة.....». وهناك الكثير من المقالات التي كتبها الراحل رحمه الله لا يتسع المجال لذكرها، نسأل الله تعالى أن يغفر ذنبه وأن يكرم نزله ، وأن يرحمه، وأن يجعل ما كتب في موازين حسناته، وأن يتجاوز عنه، إنه هو الكريم الرحيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قصة مفتراة عن أول حب كان في الإسلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد الشيخ علي حشيش

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة

١) وجود هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية يجعل من لا دراية له بالصناعة الحديثية يتوهم أن هذه القصة صحيحة، ولكن كما سنبين من التحقيق أنها قصة باطلة موضوعة.

٢) والقصة كما سنبين من المتن قصة حبّ مفتراة على صاحب أعظم خُلق عرفته الإنسانية النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي خاطبه ربه بقوله تعالى: « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » (القلم: ٤).

٣) وإن هؤلاء الوضاعين من إفكهم ليقولون كما في المتن: «إن أول حبّ كان في الإسلام حبّ النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة».

ولما كان هذا الحديث موجودًا في بعض كتب السنة؛ جعل الذين في قلوبهم مرض واتبعوا أهواءهم يتخذون من هذا الحديث تبريرًا لأفعالهم من الانحلال الخُلقي والتردد على الخلوة والاختلاط حتى كثرت حالات «نكاح السر»، ومن انحلالهم يقولون: «زواج عرفي»!! ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣٢/١٢٦-١٢٧): «إن نكاح السر من جنس اتخاذ الأخدان شبيه به، لا سيما إذا زوّجت نفسها بلا ولي ولا شهود، وكتما ذلك: فهذا مثل الذي يتخذ صديقة له، بينهما فرق ظاهر معروف عند الناس يتميز به عن هذا». اهـ.

٤) وإن تعجب فعجب أن هؤلاء الوضاعين لم يكتفوا بقولهم: «إن أول حب كان في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة». اهـ. ولكنهم من إفكهم فصلوا كيفية هذا الحب في حديث آخر، وسنبين أنه كذب مُختلَق مصنوع منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث يفتري هؤلاء الكذابون عليه-كما سنبين من المتن- بأنه صلى الله عليه وسلم لما ماتت خديجة حزن عليها النبي صلى الله عليه وسلم حزنًا شديدًا فبعث الله جبريل فأتاه بعائشة في مهد-والمهد فراش الطفل الذي يُهيَّأ له لينام فيه- كذا في «لسان العرب» (٣/٤١١) فقال جبريل: يا رسول الله! هذه تُذهب بعض حزنك، وإن في هذه خلفًا من خديجة، ثم ردَّها جبريل، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلف إلى بيت أبي بكر -يختلف إلى المكان: معناه يتردد- كذا في «المعجم الوجيز» (ص ٢٠٨) لمجمع اللغة العربية...

انظر إلى افترائهم على النبي صلى الله عليه وسلم!! الفرية الأولى: أن الله بعث جبريل فأتاه بعائشة في مهد، الفرية الثانية: أن جبريل بعد ذلك ردها إلى البيت. الفرية الثالثة: بعد أن ردها جبريل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتردد على بيت أبي بكر. الفرية الرابعة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتردد على بيت أبي بكر -كما سنبين من المتن- ليقول صلى الله عليه وسلم: «يا أم رومان استوصي بعائشة خيرًا واحفظيني فيها». اهـ.

وليعلم القارئ الكريم علاقة أم رومان بعائشة، قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (١٢٠٢٣/٢٠٦/٨): «أم رومان بنت عامر بن عويمر، امرأة أبي بكر الصديق ووالدة عبد الرحمن وعائشة». اهـ.

الفرية الخامسة في هذه القصة: يقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى إلى بيت أبي بكر يومًا في بعض ما كان يأتيهم فوجد عائشة متسترة بباب دار أبي بكر تبكي بكاءً حزينًا فسألها النبي صلى الله عليه وسلم فشكت أمها فذكرت أنها تولع بها، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل على أم رومان فقال صلى الله عليه وسلم: «يا أم رومان! ألم أوصك بعائشة أن تحفظيني فيها؟ فقالت: يا رسول الله إنها بلغت الصديق عليّ وأغضبته».

٥) هل هذه الافتراءات التي جاءت بهذه القصة يقال عنها: «أول حب كان في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة».

كيف سولت لهؤلاء أن يتقولوا على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأقاويل، وينسبوا إليه هذه الأباطيل، والتي سنبين عارها، ونكشف عوارها.

٦) لسائل أن يسأل في أي فترة من فترات حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقع هذا الحب؟ حتى يستبين سبيل هؤلاء الكذابين.

وللإجابة على هذا السؤال نجيب بما أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» ح(٣٩٠٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة، فمكث ثلاث عشرة سنة يُوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين». وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٢٧١/٧): «هذا الحديث الذي أخرجه البخاري هو الأصح». من هذا يتبين أن: فترة ما قبل البعثة: «أربعون سنة»، الفترة المكية: «ثلاث عشرة سنة». الفترة المدنية: «عشر سنين»، ومات «وهو ابن ثلاث وستين».

٧) أما يستحي هؤلاء الكذابون أن يقولوا: «أول حب كان في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة». والنبي صلى الله عليه وسلم في الخمسين من عمره وعائشة سنها ست سنوات.

والدعوة في أشد أوقاتها اضطهادًا والمشركون يأتمرون به لحبسه أو قتله أو إخراجه.

ثانيا: القصة

روي عن أنس بن مالك قال: «أول حب كان في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة».

ثالثا: التخريج

١) أخرجه الإمام الحافظ أبو نعيم في «الحلية» (٤٤/٢) قال: حدثنا محمد بن حميد، حدثنا أحمد بن عيسى بن السكين، حدثنا عبد الله بن الحسين المصيصي، حدثنا أبو طاهر المقدسي، حدثنا الوليد بن محمد الموقري عن الزهري عن أنس قال: «أول حب كان في الإسلام...». الحديث.

٢) وأخرجه من هذا الطريق الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٦٧/٢) قال: أنبأنا الجريري، أنبأنا العشاري، حدثنا الدارقطني، حدثنا أحمد بن عيسى بن السكين به.

رابعا: التحقيق

١) قال الإمام ابن الجوزي: تفرد به الموقري، ولم يروه عنه غير موسى بن محمد بن عطاء، وكلاهما كذاب، قال أحمد ويحيى: «الموقري ليس بشيء». وقال ابن حبان: وكان موسى بن محمد يضع الحديث على الثقات». اهـ.

قلت: قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٦١/١/٤) ت(٧١٥): «موسى بن محمد بن عطاء أبو طاهر المقدسي روى عن الوليد بن محمد الموقري وآخرين، وقال سألت أبي عنه فقال: «رأيته عند هشام بن عمار ولم أكتب عنه، وكان يكذب ويأتي بالأباطيل». اهـ.

وقال: سمعت موسى بن سهل الرملي يقول: أشهد

عليه أنه كان يكذب، وقال سئل أبو زرعة عن أبي طاهر المقدسي فقال: أتيته فحدث عن الهيثم بن حميد وفلان وفلان وكان يكذب. اهـ.

فائدة: نستنتج من هذا أن أئمة الجرح والتعديل على معرفة تامة بالمجروح.

أما الوليد بن محمد الموقري قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣٤٦/٤): هو صاحب الزهري. قال ابن المديني: لا يُكتب حديثه، وكذَّبه ابن معين، ومجمع على ضعفه. اهـ.

٢) الطريق الثاني: وفيه حاول الإمام السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (١٦٧/٢) أن يتعقب الإمام ابن الجوزي في قوله: «تفرد به الموقري عن الزهري»؛ حيث قال: لم ينفرد به حيث تابعه محمد بن الزبير مؤذن حران حدثنا الزهري قال: «أول حب في الإسلام....».

نقله الإمام السيوطي عن الإمام الخطيب البغدادي حيث أخرجه في «تاريخ بغداد» (٣٤/٤).

قلت: فهي متابعة لا تسمن ولا تغني من جوع؛ لأنه من كلام الزهري. وهو من الطبقة الرابعة كما في «التقريب» (٢٠٧/٢) للحافظ ابن حجر، وهي طبقة تحت الوسطى من التابعين؛ فالخبر من نوع «المقطوع» فلا يصلح للمتابعة، ويزيد هذه المتابعة وهنًا عن وهن، أن محمد بن الزبير مؤذن حران، قال فيه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٣٨/٦) (١٧١٥/٩٤): «منكر الحديث عن الزهري وغيره».

٣) الطريق الثالث أخرجه الإمام الآجري في «الشريعة» (١٤٤/٤) ح(١٩٦٩) من طريق عبد العزيز بن عمران الزهري عن الزهري قال: «أول حب كان في الإسلام....».... الخبر.

وهو من كلام الزهري فهو من نوع «المقطوع» لا يصلح للمتابعات. ثانيًا: المتابع عبد العزيز بن عمران الزهري وغيره: «متروك». وقال ابن معين: «ليس بثقة».

الاستنتاج: الخبر بجميع طرقه باطل موضوع.

خامسا: متن «تفصيل هذا الحب»

عن حبيب مولى عروة قال: «لما ماتت خديجة حزن عليها النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الله جبريل فأتاه بعائشة في مهد فقال: يا رسول الله هذه تذهب بعض حزنك، وإن في هذه خلفًا من خديجة، ثم ردها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلف إلى بيت أبي بكر ويقول: يا أم رومان: استوصي بعائشة خيرًا واحفظيني فيها، فكان لعائشة بذلك منزلة عند أهلها ولا يشعرون بأمر الله فيها. فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا في بعض ما كان يأتيهم، وكان لا يخطئه يومًا واحدًا أن يأتي إلى بيت أبي بكر منذ أسلم إلى أن هاجر فيجد عائشة متسترة بباب دار أبي بكر تبكي بكاءً حزينًا، فسألها النبي صلى الله عليه وسلم فشكت أمها، فذكرت أنها تولع بها، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخل على أم رومان، فقال: يا أم رومان! ألم أوصك بعائشة، أن تحفظيني فيها؟ فقالت: يا رسول الله إنها بلغت الصديق عني وأغضبته علينا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وإن فعلت». قالت أم رومان: لا جرم! لا سؤتها أبدًا». اهـ.

سادسا: التخريج

هذا الخبر: أخرجه الإمام محمد بن سعد في «الطبقات» (٢٨٣/٧) قال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا عبد الواحد بن ميمون مولى عروة، عن حبيب مولى عروة قال: «لما ماتت خديجة...» الخبر؟. وأخرجه بهذا الإسناد الإمام الحاكم في «المستدرك» (٥/٤).

سابعًا: التحقيق

هذا خبر: مقطوع: لأنه من كلام حبيب مولى عروة، وهو من الثالثة كذا في «التقريب» (١٥١/١) وهي الطبقة الوسطى من التابعين. فالخبر من نوع «المقطوع».

وهو خبر موضوع: لأن فيه عبد الواحد بن ميمون قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١٥٥/٢): «يروي الموضوعات»، وقال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٥٨/٦): «منكر الحديث».

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد الشيخ علي حشيش

(٩٨٠): «عليكم بلباس الصوف تجدوا حلاوة الإيمان في قلوبكم».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (٢/٤٩) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧)، وقال: «ك هب عن أبي أمامة».

قلت: «ك» ترمز إلى الحاكم في «مستدركه». و«هب» ترمز إلى البيهقي في «شعب الإيمان».

وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين أنه حديث «موضوع».

وسنبين حدَّ هذا المصطلح ثم نطبقه على هذا الحديث من التخريج والتحقيق حتى يجد طالب العلم أيضًا دراسة «لعلم الحديث التطبيقي».

أولاً: التخريج

١) أخرجه الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفى سنة (٤٠٥هـ) في «المستدرك» (٢٨/١) قال: حدثناه علي بن حمشاد، وأبو بكر بن أحمد بن بالويه قالا: حدثنا محمد بن يونس، حدثنا عبد الله..... عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بلباس الصوف...» الحديث.

٢) فائدة مهمة:

قال الإمام الذهبي في «التلخيص» (١/٢٨-مستدرك): «ساقه الحاكم من طريق ضعيف، وسقط نصف السند من النسخة». اهـ.

قلت: وهذا يقتضي منا معرفة نصف السند الذي سقط حتى نستطيع أن نقف على درجة ضعف هذا الحديث، خاصة والسقط وقع في جميع نسخ المستدرك.

٣) طريقة الحصول على نصف السند الذي سقط عند الحاكم في «المستدرك»: من المعلوم عند أهل الحديث أن الإمام أبا عبد الله الحاكم من أهم شيوخ الإمام الحافظ البيهقي، وهذا الحديث-بفضل الله وحده- قد أخرجه الإمام البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٢٥/٩) ح(٥٧٤٢) عن شيخه أبي عبد الله الحاكم بالسند كاملاً فتبين السقط واستبانت العلل.

حيث قال الإمام البيهقي: «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ-يعني الحاكم- أخبرنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه، أخبرنا محمد بن يونس، حدثنا عبد الله بن داود، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بلباس الصوف... الحديث».

ثانيا: التحقيق

هذا الحديث لا يصح لما به من علل:

العلة الأولى: محمد بن يونس: قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٨٣٥٣/٧٤/٤): محمد بن يونس بن موسى الكديمي البصري أحد المتروكين، كذَّبه موسى بن هارون، والقاسم بن المطرز.

العلة الأخرى: عبد الله بن داود قال الذهبي في «الميزان» (٤٢٩٤/٤١٥/٢): «عبد الله بن داود الواسطي التمار، قال البخاري: فيه نظر، وقال النسائي: ضعيف، وقال ابن عدي: هو ممن لا بأس به إن شاء الله» فرد عليه الذهبي بقاعدة تكتب بماء الذهب فقال: «بل كل البأس به، ورواياته تشهد بصحة ذلك، وقد قال البخاري: فيه نظر ولا يقول هذا إلا في من يتَهمه غالبًا». اهـ. فالحديث موضوع.

«إياك نعبد وإياك نستعين»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد: فعقيب أن يتم الحامد في قراءته بفاتحة الكتاب حمْدَ ربه، يأخذ في التوجه إليه بإظهار الإخلاص له، انتقالًا من الإفصاح عن حق الرب؛ إلى إظهار مراعاة ما يقتضيه حقه تعالى من إفراده بالعبادة والاستعانة.. وثمة بابٌ جليل من أبواب البلاغة يتميز بوفرة مصطلحاته يسمى: (القصر)، ويعنون به: (تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص)، ومن أبرز هذه الطرق ما يعرف بـ(طريق التقديم)، كما أن من أبرز مصطلحات هذا الباب وتقسيماته ما يعرف بـ(القصر الحقيقي التحقيقي) ومرادهم به: (إثباتُ الشيء للشيء ونفيُه عما عداه في الحقيقة والواقع)، ولك أن تتأمل في ذلك قوله تعالى: «وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ» (الأنعام: ٥٩) وهو ما يدَّعيه البعض لنفسه رجمًا بالغيب، لترى في التركيب طريقين من طرق القصر الحقيقي.

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي

الأستاذ بجامعة الأزهر

الأول: التقديم في قوله: «وعنده مفاتح الغيب»، فقد تقدم فيه الخبر فأفاد أن مفاتيح الغيب عنده وليست عند غيره، وكأنه لما قدّم لفظ «عنده» أشار إلى أن المراد: عنده وحده لا يشاركه فيها غيره، وقد فُهم ذلك بمعونة السياق.. فالقصر هنا قصرٌ حقيقيٌّ، لأن مفاتح الغيب ثابتة له سبحانه ومنفية عن كل ما عداه حقيقة «فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ» (الجن: ٢٦، ٢٧).

والطريق الثاني: قوله: «لا يعلمها إلا هو».. وترى في تكرار المعنى في الجملتين توكيدًا وتقريرًا لهذه الحقيقة حتى لا يتسرب إلى الأوهام أن أحدًا من خلق الله؛ سواءً من الناس أو من الجن؛ يعلم شيئًا من الغيب بغير إذنه، ويبقى بذلك أمر معرفته مقصورًا على الله لا يتعداه إلى غيره.

والأمر معنا في التقديم ليس قاصرًا على الخبر، وإنما يكون كذلك في متعلقات الفعل، "تقول: (زيدًا أكرمت) وأنت تعني: (ما أكرمتُ إلا زيدًا)، ومنه: قوله تعالى: «إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ» (الفاتحة: ٥)، أي: (نخصك بالعبادة فلا نعبد غيرك، ونخصك بالاستعانة فلا نستعين بسواك)، وقوله: «إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ» (البقرة: ١٧٢)، قُدِّم المفعول لأنه سبحانه أراد: إن كنتم تخصونه بالعبادة؛ فلا تتجه قلوبكم إلا إليه، ولا تنحني أصلابكم إلا في حضرته)"ا.هـ من (خصائص التراكيب د. أبو موسى ص٣٦٤).

كذا بما يعني: أن «إياك» في الفاتحة ضمير اسم الله تعالى، وهو ضمير يقع موقع الاسم إذا كان الاسم منصوبًا، وهذا يعني أنك لو ذكرت اسم الله مكانه لقلت: (الله نعبد لا نعبد سواه)؛ وكذلك: «إياك نستعين».. ومعلوم بالضرورة أن العبادة بجميع مظاهرها: أقصى غاية الخضوع والتذلل، فهي أبلغ في التعبير من لفظ (العبودية)، قال الراغب: "(العبودية) إظهار التذلل، و(العبادة) أبلغ منها لأنها غاية التذلل"، "ومنه: (ثوب ذو عبدة) إذا كان غاية في قوة النسج، ولذلك لم تستعمل إلا في الخضوع لله لأنه مُولِى أعظم النِعم، فكان حقيقًا بأقصى غاية الخضَوع" كذا في الكشاف.

أ- وقفة مع المفسرين لـ«إيَّاك نعبُد»:

قال ابن جرير: "قوله: «إيَّاكَ نعبُدُ» أي:

(لك اللهم نَخشعُ ونَذلُّ ونستكينُ، إقرارًا لك يا رَبنا بالرُّبوبية لا لغيرك).. عن ابن عباس، قال: قال جبريلُ لمحمد صلى الله عليه وسلم: (قل يا محمد: إياكَ نُوحِّد ونخاف ونرجو يا ربَّنا؛ لا غيرك)، واختار الطبري معنى: نَخشع ونذلّ ونستكينُ وإن كان الرَّجاء والخوف لا يكونان إلا مع ذلة، لأنّ العبودية، عندَ جميع العرب أصلها الذلّة، ومن ذلك قيل للبعير المذلّل بالركوب في الحوائج: معبَّد، ومنه سمي العبْدُ عبدًا لذلّته لمولاه، والشواهد على ذلك من أشعار العرب وكلامها؛ أكثرُ من أن تُحصى" ا.هـ بتصرف..

وسؤالنا: كيف لهذه المعاني ألا تُتَدبَّر؟! وكيف لهذه المظاهر الإيمانية أن تصرف لغير الله؟ وألا يُعَدّ صرفُها لغيره خرقًا لمعنى الآية وخروجًا عما أمر الله به عباده وأراده منهم شرعًا؟!

وهنا يواصل ابن جرير كلامه فيقول: "ومعنى قوله: «وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» أي: وإياك رَبنا نستعين على عبادتنا إيّاك وطاعتنا لك، وفي أمورنا كلها، لا أحدًا سواك، إذْ كان من يكفُر بك يَستعين في أموره معبودَه الذي يعبُدُه من الأوثان والأولياء دونَك، ونحن بك نستعين في جميع أمورنا مخلصين لك العبادة، عن ابن عباس: في «وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»، قال: (إياك نستَعينُ على طاعَتك وعلى أمورنا كلها)، فإن قال قائل: وما معنى أمر الله عبادَه بأن يسألوه المدد والمعونةَ على طاعته؟ أوَ جائزٌ وقد أمرهم بطاعته ألا يعينَهم عليها؟ قيل: إنما الداعي ربَّه من المؤمنين أن يعينه على طاعته إياه، داعٍ أن يعينه فيما بقي من عُمره على ما كلَّفه مَن طاعته، دون ما قد تَقضَّى ومَضى من أعماله الصالحة فيما خلا من عمره، وجازت مسألةُ العبد ربَّه ذلك، لأن إعطاء الله عبدَه ذلك مع تمكينه جوارحَه لأداء ما كلَّفه مِن طاعته وافترض عليه من فرائضه؛ فضلٌ منه وتفضّل به عليه، وليس في تَركه التفضُّلَ على بعض عبيده بالتوفيق -مع اشتغال عبده بمعصيته أو شركه، وانصرافه عن مَحبته، ولا في بَسطه فضلَه على بعضهم، مع إجهاد العبد نفسه في مَحبته، ومسارعته إلى طاعته- فسادٌ في تدبير، ولا جَور في حكم، فيجوز أن يجهلَ جاهل موضع حُكم الله في أمره عبدَه بمسألته عَونَه على طاعته" ا.هـ بتصَرف..

وهذا هو ما يجب أن يتنبه إليه من يصرفون أوجه العبادة أيا كانت لغير الله، إذ عدم الأخذ بأسباب الاستعانة بالله وحده؛ يؤذن بالخذلان وسوء الخاتمة عياذًا بالله.

يقول الطبري: "فإن قال قائل: (وكيف قيل: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» فقُدِّم الخبرُ عن العبادة، وأُخِّرتْ مسألةُ المعونة؟ وإنما تكون العبادة بالمعونة، فمسألةُ المعونة كانت أحقَّ بالتقديم قبلَ المُعَان عليه من العمل والعبادةُ بها؟)، قيل: (لمّا كان معلومًا أن العبادة لا سبيلَ للعبد إليها إلا بمعونة من الله، وكان محالاً أن يكون العبْد عابدًا إلا وهو على العبادة مُعان؛ ولا يكون مُعانًا عليها إلا وهو لها فاعل، كان تقديمُ ما قدمَ منهما على صاحبه سواءً، فله أن يقول: (اللهم إنّا إياك نعبُدُ؛ فأعنّا على عبادتك)، أو: (اللهم أعنّا على عبادتك؛ فإنا إياك نعبُدُ)"، وهذا يعني: أن المهم في ذلك هو السير المستقيم على طريق كل من العبادة والاستعانة ليكونا موضع قبول الله لهما.

ويقول الحافظ ابن كثير: "العبادة في الشرع: عبارة عما يَجمع كمال المحبة والخضوع والخوف، وقدم المفعول وهو «إِيَّاكَ» وكرّره؛ للاهتمام والحصر، أي: (لا نعبد إلا إياك ولا نتوكل إلا عليك)، وهذا هو كمال الطاعة، والدين يرجع كله إلى هذين المعنيين، وهذا كما قال بعض السلف: (الفاتحة سرُّ القرآن، وسرُّها: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» فالأول تبرؤ من الشرك بجميع مظاهره، والثاني تبرؤ من الحول والقوة؛ والتفويض إلى الله، وهذا المعنى؛ هو كما قال تعالى: «فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ» (هود: ١٢٣)، «قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا» (الملك: ٢٩)، «رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا» (المزمل: ٩)

قال قتادة: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» يأمركم أن تُخلصوا له العبادةَ وأن تستعينوه على أمركم، وإنما قدم: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» على «وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»؛ لأن العبادة له هي

المقصودة، والاستعانة وسيلة إليها ولا مناص من أن تكون مشروعة، والاهتمام والحزم هو: أن يُقَدِّم ما هو الأهم فالأهم. فإن قيل: (فما معنى النون فيهما؟)، أجيب: (بأن المراد من ذلك: الإخبار عن جنس العُبَّاد؛ والمصلي فرد منهم ولاسيما إن كان في جماعة أو إمامهم، فأخبر عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين بالعبادة التي خُلقوا لأجلها؛ وتوسط لهم بخير)، ومنهم من قال: يجوز أن تكون للتعظيم، كأن العبد قيل له: إذا كنتَ في العبادة فأنت شريف وجاهك عريض، فقل: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»... ومنهم من قال: نون الجمع ألطف في التواضع من: (إياك عبدنا)، لما في الثاني من تعظيمه نفسه ومن جعله نفسَه وحدَه أهلاً لعبادة الله الذي لا يستطيع أحد أن يعبده حق عبادته ولا يُثني عليه كما يليق به، والعبادة مقام عظيم يشرف به العبد لانتسابه إلى جناب الله، كما قال بعضهم:

لا تدعُني إلا بـ(يا عبدَها)
فإنه أشرف أسمائي

وقد سمى الله رسوله بعبده في أشرف مقاماته فقال: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ» (الكهف: ١)، «وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ» (الجن: ١٩)، «سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا» (الإسراء: ١)، فسمَّاه عبدًا عند إنزاله عليه، وقيامه في الدعوة، وإسرائه به، وأرشده إلى القيام بالعبادة في أوقات يضيق صدره من تكذيب المخالفين له، حيث يقول: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٩٨) وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ» (الحجر: ٩٧- ٩٩)".

وفي محصلة ما سبق يقول السعدي ليعي ذلك متصوفةُ الزمان: "قوله: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» أي: نخُصُّك وحدَك بالعبادةَ والاستعانة، لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو: إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه، فكأنه يقول: (نعبدك ولا نعبد غيرك؛ ونستعين بك ولا نستعين بغيرك).. وقدم العبادة على الاستعانة، من باب تقديم العام على الخاص، واهتمامًا بتقديم حقه تعالى على حق عبده، و(العبادة): (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة)، و(الاستعانة) هي: (الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك).. إذ القيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع الشرور، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما.

وإنما تكون العبادة عبادة، إذا كانت: (مأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)؛ (ومقصودًا بها وجه الله)، فبهذين الأمرين تكون عبادة، وذكر (الاستعانة) بعد (العبادة) مع دخولها فيها، لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله، فإنه إن لم يُعنْه الله، لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر واجتناب النواهي"، وقيل في سرِّ إطلاق الاستعانة: ليتناول كل مُستعان فيه، فالحذف هنا مثله في قولهم: (فلان يُعطي) في الدلالة على العموم، فكيف مع كل هذا يستعين العبد بغير الله؛ ويطلب من هذا الغير المعونة والمدد؟!

ب- مزيد من إشراقات «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»

على أن هذه الآيةِ الرابعة من الفاتحة، نصْفُها للرب ونصفُها للعبد، كما قال الله في حديث أبي هريرة: (فإذا قال العبد: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»، قال الله: هذا بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل)، فقوله: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» للرب مع ثلاث آيات قبلها مشتملة على إفراده بالحمد والثناء والتمجيد، وقوله: «وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» للعبد، مع ثلاث آيات بعدها.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ١/٨٩: "في قوله تعالى: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» تحقيقٌ وتفصيلٌ لقوله: «الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ» يدل على أنه لا معبود إلا اللهَ؛ وأنه لا يستحق أن يُعبَد أحد سواه، فقوله: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» إشارة إلى عبادته بما اقتضته إلهيته من المحبة والخوف والرجاء

والأمر والنهي، «وَإيَّاكَ نَسْتَعِينُ» إشارة إلى ما اقتضته الربوبية من التوكل والتفويض والتسليم" ا.هـ.

وتقديم الضمير الذي هو المفعول؛ هو - كما يقول ابن القيم في كتابه (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين) ١٠٢/١ -: "في قوة (لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك).. مع أن في ضمير «إياك» من الإشارة إلى نفس الذات والحقيقة ما ليس في الضمير المتصل، ففي: (إياك قصدتُ وأحببتُ) - من الدلالة على معنى: (حقيقتَك وذاتَك قصدي) - ما ليس في قولك: (قصدتُك وأحببتُك).

ومن غير إفادة التخصيص، يرى جل المفسرين والمحققين أن تقديم المفعول «إيَّاكَ» في الموضعين؛ للاهتمام أيضًا ولئلا يتَقدم ذكرُ العبد والعبادة على المعبود؛ ولئلا يتقدَم ذكر الاستعانة والمستعين على المستعان به جل وعلا؛ كقوله تعالى: «وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» (التوبة: ٥١).

وفي تكريره دلالةٍ على تعلُق هذا الاختصاص والاهتمام بكلٍ من الفعلين، ففي إعادة الضمير من قوة الاقتضاء لذلك ما ليس في حذفه، فإذا قلتَ لملك مثلاً: (إياك أحب، وإياك أخاف)، كان فيه من اختصاص الحب والخوف بذاته والاهتمام بذكره، ما ليس في قوله: (إياك أحب وأخاف)" كذا في المدارج ١٠٣/١.

جـ- من بلاغة الالتفات في النظم الكريم:

ولا يغيب على طالب علم ما في فاتحة الكتاب من تحوّلٍ للكلام من الغيبة إلى الخطاب، "وهي- على حدّ قول الحافظ ابن كثير- مناسبة؛ لأنه لما أثنى على الله فكأنه اقترب وحضر بين يديه؛ فلهذا قال: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»، وفي هذا دليل على أن أول السورة خبرٌ من الله بالثناء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى، وإرشادٌ لعباده بأن يثنوا عليه بذلك؛ ولهذا لا تصح صلاةُ مَن لم يقل ذلك وهو قادر عليه؛ كما جاء في الصحيحين من حديث عبادة: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)".

يقول القزويني في كتابه (الايضاح): "اعلم أن الالتفات من محاسن الكلام، ووجه حسنه: هو أن الكلام إذا نُقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية وتجديدًا، لنشاط السامع وأكثر إيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد"، ذلك أن المخاطب إذا سمع خلاف ما يترقب؛ نَشط وأصغى إليه، كما أن فيه ما فيه من الاتساع والتفنن في أساليب الكلام على حدّ قول ابن الأثير.

ولك أن تتأمل في ذلك: ما جاء في فاتحة الكتاب، "فإن العبد إذا افتتح، حمد مولاه الحقيقَ بالحمد؛ عن قلبٍ حاضرٍ ونفس ذاكرة لما هو فيه، بقوله: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» الدالّ على اختصاصه بالحمد وأنه حقيق به، ووجد من نفسه لا محالة محركًا للإقبال عليه، فإذا ما انتقلَ إلى قوله: «رب العالمين» الدال على أنه مالكُ للعالمين لا يخرج منهم شيء عن ملكوته وربوبيته، قوي ذلك المحرك، ثم إذا انتقل إلى قوله: «الرحمن الرحيم» الدال على أنه تعالى مُنعم بكلِ أنواع النعم: جلائلها ودقائقها، تضاعفت قوة ذلك المحرك، ثم إذا انتقل إلى خاتمة هذه الصفات العظام، وهي قوله: «مالك يوم الدين» الدال على أنه مالك للأمر كله يوم الجزاء، تناهت قوته وأوجب الإقبال عليه وخطابه بتخصيصه بغاية الخضوعِ والاستعانة في المهمات، فإذا ما وقع انتقالٌ بعدُ من الغيبة إلى الخطاب في قوله: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»، تخلص القلبُ من كل علائق الدنيا، وانصرف بكليته إلى إلهه يشكو إليه بثَّه وحُزنه؛ ويفرده بكل صنوف العبادة؛ ويستعين به عليها وعلى كل ملمات الحياة آملاً رضاه والجنة". اهـ من كتابنا (تقريب الإيضاح).

وبعدُ: فهذا قليل من كثير مما أمكن استخلاصه من «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» علَّ الله يجعل فيه الأثر ويحرّك به قلوب الغافلين.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفتاوى

من فتاوى الأزهر

غياب الزوج عن زوجته وأثره

المفتي: الشيخ جاد الحق على جاد الحق.

يسأل مواطن مقيم بالسعودية من مدة عامين تقريبا لم يحضر فيهما إلى القاهرة- وأن زوجته فى القاهرة، وهو يريد أن يعرف حكم الشرع فى غيبته عنها هذه المدة وهل هذا الغياب حرام أم حلال- كما أنه لم يؤد زكاة الفطر عن هذين العامين لأنه كان يعتقد أن والده سيخرج عنه الزكاة فى مصر.

الجواب: المقرر شرعا أنه لا يجوز للزوج هجر زوجته- ومن أجل هذا أجاز فقهاء مذهب الإمام مالك وفقهاء مذهب الإمام أحمد بن حنبل للزوجة التى يهجرها زوجها طلب التطليق للضرر، وأخذ القانون المصرى بذلك فجعل للزوجة التى يغيب عنها زوجها ويقيم فى بلد آخر غير محل إقامتها سنة فأكثر دون عذر مقبول أن تطلب من القاضى الطلاق إذا تضررت من بعده عنها، ولو كان له مال تستطيع الإنفاق منه.

لما كان ذلك- فإذا كانت زوجة السائل متضررة من بعده عنها فإنه يحرم عليه شرعا هجره لها هذه المدة الطويلة ويجب عليه أن ينقلها إلى محل إقامته أو أن يحضر للإقامة معها ولا يطيل غيبته عنها أكثر من سنة وفاء بحقها الشرعى عليه كزوجة- هذا فوق ما لها من النفقة الشرعية مدة غيبته عنها إذا لم يكن قد أنفق عليها أو وكَّل أحدًا بالإنفاق عليها.

أما زكاة الفطر فإنه يجب عليه شرعا أن يخرجها عن العامين الماضيين عن نفسه وعمن تجب عليه نفقته ولا تسقط بفوات وقتها، وإنما تصير دينًا فى ذمته وعليه أداؤها. والله سبحانه وتعالى أعلم

الكفاءة فى الزواج

المفتي: الشيخ حسن مأمون.

سؤال: أن رجلا غير مكره زوج بنته البالغة العاقلة الرشيدة برضاها ثم ادعى بعد زمن انعدام الكفاءة فى الزوج. وطلب معرفة الحكم الشرعى فى ذلك؟

الجواب: إن بعض أئمة مذاهب الفقه الإسلامى اشترط لإجراء عقد الزواج أن يكون بولى من جهة الزوجة مطلقا، وبعضهم لم يشترط ذلك فأجاز للأنثى إذا كانت كاملة الأهلية بالحرية والعقل والبلوغ إجراء عقد زواجها بنفسها ولا يكون لوليها حق إلا فى كفاءة الزوج وتمام مهر المثل وفى حادثة السؤال إذا كانت البنت المسؤول عن زواجها كاملة الحرية بالعقل والبلوغ، وأن أباها هو الذى قام بإجراء عقد زواجها وكان ذلك برضاها فإن هذا العقد يكون نافذا ولازمًا عند جميع الأئمة متى استوفى

جميع شروطه الشرعية الأخرى، وحينئذ لا يكون لأبيها حق الاعتراض على هذا العقد من ناحية كفاءة الزوج مطلقا، لأن من سعى فى نقض ما تم من جهته فسعيه مردود عليه. والله سبحانه وتعالى أعلم

الشك فى عدد الرضعات

المفتي: الشيخ جاد الحق على جاد الحق.

السؤال: تزوجت فتاة من شخص وأنجب منها طفلين، وبعد مضى أربع سنوات على الزواج علم السائل أن بنته رضعت من أم زوجها هذا، وعندما سأل أم الزوج عن عدد الرضعات قالت كثيرة، قال لها أكثر من خمس رضعات، أجابت بما يفيد الإيجاب. وبعد مضى حوالى أربع ساعات من هذا الحديث أعاد عليها السؤال، فقالت له أنا لا أذكر تحديدا إذا كان عدد الرضعات أكثر من خمس رضعات أم أقل.

كل ما أذكره هو أن جدتها كانت تتركها عندى لفترة ما بين ساعتين أو ثلاث ساعات لمدة ثلاثة أيام.

وأنها لا تتذكر عدد الرضعات. وطلب السائل بيان الحكم الشرعى فيما ذكره.

الجواب: تقتضي نصوص الشريعة الإسلامية بأنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب متى كان الرضاع فى مدته الشرعية وهى سنتان قمريتان من تاريخ الولادة على المفتى به، إذ بالإرضاع تصير المرضعة أمًا من الرضاع لمن أرضعته، ويصبح جميع أولادها سواء منهم من رضع معه أو قبله أو بعده إخوة وأخوات له من الرضاع.

ثم اختلف الفقهاء فى عدد ومقدار الرضاع الموجب للتحريم، فقال فقهاء الحنفية والمالكية واحدى الروايات عن الإمام أحمد إن قليل الرضاع وكثيرة سواء فى التحريم.

وقال فقهاء الشافعية وأظهر الروايات عن الإمام أحمد إن الرضاع المحرم أقله خمس رضعات متفرقات متيقنات مشبعات.

هذا وقد نص فقهاء الشافعية والحنابلة على أنه إذا وقع الشك فى عدد الرضعات التى وقعت فلا يثبت التحريم عندهم، لأن الحل ثابت بيقين فلا يزول بالشك، ولكنهم قالوا إنه يكره الزواج للاحتياط، لاحتمال أن يكون عدد الرضعات قد بلغ الحد المحرم عندهم شرعا.

ولما كان الثابت بالسؤال أن أم الزوج قررت مرة أنها أرضعت بنت السائل زوجة ابنها مرات كثيرة زادت على خمس رضعات، ومرة أخرى قررت أنها لا تذكر عدد الرضعات على وجه التحديد، هل كانت أكثر من خمس رضعات أو أقل منها.

لما كان ذلك كان الشك واقعا فى عدد الرضعات فلا يثبت به التحريم عند فقهاء الشافعية وأظهر الروايات عند فقهاء الحنابلة القائلين بأن الرضاع المحرّم هو ما كان خمس رضعات مشبعات متيقنات متفرقات.

ومع هذا فإذا صدَّقها الزوجان فيما أخبرت به من الإرضاع بطل زواجهما ووجب عليهما أن يفترقا أو يرفع أمرهما إلى النيابة العامة لاتخاذ الإجراءات القضائية للتفريق بينهما، وإن صدق الزوج والدته فى قولها كان عليه فرقة زوجته وحرمت عليه.

أما إذا لم يصدّقاها وأنكرا قولها أو تشككا فى صحته فإن الرضاع عند فقهاء الشافعية وفقهاء الحنابلة القائلين بأن القدر المحرّم خمس رضعات متفرقات متيقنّات مشبعات لا يثبت إلا بشهادة امرأتين، وعند الحنفية لا يثبت مطلقا إلا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين.

لما كان ذلك كان على السائل التحقق من صحة إخبار أم الزوج والاحتياط للدين.

فقد قال فقهاء الشافعية إنه مع الشك فى عدد الرضعات يكون الزواج مكروها لاحتمال أن تكون بلغت خمسا فأكثر، والأولى بالزوجين أن يتفرقا إذا كانت هذه السيدة التى أخبرت بالإرضاع عادلة متدينة لا تبغى مجرsد الفرقة بينهما لما قد يكون بين الزوجة وأم الزوج من خلاف عادة، فقد رُوى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) والله سبحانه وتعالى أعلم

عمل الزوجة

المفتي: الشيخ جاد الحق على جاد الحق.

يسأل سائل: تزوج من إحدى زميلاته بالعمل، وأنه نظرا لأنه يتمسك بالمبادئ والقيم والالتزام بما أمر الله والبعد عما نهى عنه، فقد اتفق مع زوجته حين زواجهما على أن تترك عملها الوظيفى، وتتفرغ لمصالحهما المشتركة فى منزل الزوجية لا سيما وأن دخله يكفيهما بدون حاجة إلى مرتبها، ولكنها لم تنفذ هذا الاتفاق للآن، بالرغم من إلحاحه عليها فى ذلك وبيانه مآثر وفضائل تفرغ الزوجة لرعاية مصالح المنزل.

وطلب السائل بيان حكم الشرع فى هذا الموضوع، وهل من حقه شرعا منع زوجته من العمل أم لا

الجواب: المقرر شرعا أن الزوجة لا يجوز لها الخروج من منزل الزوجية والعمل بأى عمل كان إلا بإذن زوجها حتى لو كان هذا العمل ضروريا للغير، كعمل القابلة والطبيبة، فإن خرجت وعملت بدون إذنه كانت عاصية، وللزوج إذا رضي بعمل زوجته العدول عن هذا، وعليها التجاوب مع رغبته والقرارُ فى منزل الزوجية، لأن الحقوق الزوجية متقابلة، إذ عليه الإنفاق وعليها الاحتباس فى المنزل.

ولم يفرق الفقهاء عند بيان حق الزوج فى منع زوجته من الاحتراف بين عمل وعمل، وقد قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم من سورة النساء « ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا » (النساء ٣٤)، قال صاحب كتاب البحر الرائق شرح كنز الدقائق فى بيان حق الزوج فى منع زوجته من الخروج والعمل (وللزوج أن يمنع القابلة والغاسلة من الخروج، لأن فى الخروج إضرارا به وهى محبوسة لحقه، وحقه مقدم على فرض الكفاية، وله أن يمنع زوجته من الغزل، ولا تتطوع للصلاة والصوم بغير إذن للزوج- كذا فى الظهيرية.

وينبغى عدم تخصيص الغزل، بل له أن يمنعها من الأعمال كلها المقتضية للكسب، لأنها مستغنية عنه لوجوب كفايتها عليه) وعلى هذا ففى الحادثة موضوع السؤال.

تكون الزوجة المسئول عنها عاصية شرعا لعدم امتثالها لطلب زوجها منها تَـرْكَ العمل خارج المنزل إذ هو طلب مشروع ليس فيه معصية ولا مخالفة للشريعة الإسلامية، وإذا أصرت على العمل بالرغم من نهي زوجها تكون خارجة عن طاعته شرعا وغير ممتثلة لأوامر الله تعالى المشار إليها فى تلك الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة فى شأن وجوب امتثال الزوجة لطلبات زوجها فى غير المعاصي تحقيقا للمودة والرحمة بينهما وحسن العشرة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ورحل

الدكتور/ السالوس

إعداد د. أيمن خليل
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على ما لا نبي بعده، وبعد: فمما لا يخفى أنه من العسير على النفس أن يختزل الإنسان حياة إنسان وسيرته في سطور معدودات، ولا يقل صعوبة عن ذلك أن يمر الحدث بتجاهل، دون تعرض له من قريب أو بعيد، وحيث رحل عن دنيانا الدكتور/ علي السالوس يوم الثلاثاء السابع من المحرم ١٤٤٥هـ الموافق ٢٠٢٣/٧/٢٥م، وهو ما يدعونا إلى أن نتعرض لشيء من سيرته بالقدر الذي يتسع له المقام.

وُلِدَ الدكتور/علي أحمد علي السالوس في عام ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م، بكفر البطيخ، محافظة دمياط، بمصر، ونشأ فيها حتى أنهى دراسته الثانوية، لينتقل إلى القاهرة للالتحاق بكلية دار العلوم، والتي تخرج فيها عام (١٣٧٦هـ -١٩٥٧م). وبعد تخرجه عمل مدرسًا. واستكمل دراسته العليا فحصل على الماجستير في الشريعة من كلية دار العلوم عام ١٩٦٩م وكان عنوان الرسالة "فقه الشيعة الإمامية مواضع الخلاف بينه وبين المذاهب الأربعة"، وكان تسجيل هذه الرسالة بإيعاز من الشيخ/ محمد مدني وكان يدرس بكلية دار العلوم، وكان من المنادين بالتقريب بين السنة والشيعة، وكان يرسخ في أذهان الدراعمة أنه لا يوجد خلاف بين الإمامية والسنة، إلا كاختلاف المذاهب الأربعة السنية مع بعضها البعض. ولذلك سجل السالوس رسالته للماجستير عن مواضع الخلاف بين فقه الشيعة الإمامية وبين المذاهب الأربعة السنية إثباتاً لأن الخلاف غير جوهري وأنه يمكن اعتبار المذهب الجعفري مذهبًا خامسًا للمذاهب الأربعة، ولكن بعد البحث والدراسة جاءت نتيجة الدراسة مغايرة لهدفها.

وحيث تبين للدكتور السالوس إبّان إعداد رسالته للماجستير ما للإمامة من أثر محوري في العقيدة الشيعية الإمامية، وهو ما انعكس بدوره على الفقه والأصول، ولذا كانت رسالته للدكتوراه عن "أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله". والتي أشرف عليها الشيخ/ محمد أبو زهرة ولكنه توفي قبل إتمامها، فتم إسناد الإشراف إلى الدكتور/ مصطفى زيد.

وقد جمع د./السالوس رسالتيه وزاد عليهما في كتابه

الشهير المسمى (مع الشيعة الإثني عشرية في الأصول والفروع)، كما صنف كتابه " الفرية الكبرى المراجعات لعبد الحسين الموسوي " أو نقض المراجعات" والذي صنفه بتكليف من شيخ الأزهر الأسبق الشيخ/جاد الحق علي جاد الحق، ليرد على افتراء عبد الحسين الموسوي وكذبه على شيخ الأزهر الشيخ/سليم البشري.

ومن ذلك يتبين أن الدكتور/علي السالوس لم يكن منشغلاً بالاقتصاد في أول أمره وإنما بدأ حياته العلمية في دراسة المذاهب والفرق (وخاصة الشيعة الإمامية الإثني عشرية) ثم تحول إلى التخصص في الاقتصاد الإسلامي.

وكان لانتقاله إلى تخصص الاقتصاد الإسلامي قصة ذكرها هو بنفسه أنه حينما كان في الكويت حيث عمل بالتدريس هناك لمدة أربع سنوات خلال المدة من (١٩٧٦/١٩٨١)، حدث وأن نشر أحد فقهاء الكويت مقالاً أباح فيه تبادل العملات بالأجل، وذلك بزعم أن الربا في الذهب والفضة فقط ولا يسري في النقود الورقية، فكتب مقالاً عن الصرف وبيع العملات نشره في مجلة اللواء الإسلامي، فرد صاحب المقال على د/السالوس، والذي قام بدوره بالرد عليه ردًا علميًا موسعًا "أحكام النقود باقية"، ثم صنف كتابًا عن النقود وبيع العملات بعد ذلك؛ وكانت هذه بداية دخول الدكتور/علي السالوس في مجال الاقتصاد الإسلامي. لتتوالى مصنفاته وأبحاثه المتخصصة في هذا المجال.

وساعده على ذلك التحاقه بكلية الشريعة بجامعة قطر منذ عام ١٩٨٢م، والتي عمل الدكتور/علي السالوس بها منذ أن كان مدرسًا وحتى أصبح أستاذًا للفقه والأصول، كما عمل مشرفًا على العقود الخاصة بالتمويل والاستثمار في مصرف قطر الإسلامي (المضاربة، والاستصناع، والوكالة، والشراء مع خيار الشرط، البيع بالمرابحة والمساومة، والإجارة). كما عمل خبيرًا بمجمع الفقه التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة ثم اختير عضواً بالمجمع، كذلك عمل كخبيرًا وعضوًا بمجمع الفقه التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة. وهو ما فرغه للتخصص في الاقتصاد الإسلامي وبذل وسعه في هذا المجال.

وكان للدكتور/علي السالوس موقف حاسم إزاء فتوى الدكتور/محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر السابق - وقتما كان مفتيًا لمصر - بإباحة فوائد البنوك، تلك الفتوى التي بناها على أسئلة وجُهها الدكتور/سيد طنطاوي إلى الأستاذ/محمود عبد العزيز محافظ البنك الأهلي المصري الأسبق، حيث سأله عن أعمال البنك التي يجريها مع العملاء: هل تُعتبر من المضاربة الشرعية؟ فردّ المحافظ: نعم هي من المضاربة الشرعية، لأن البنك يستثمرها لصاحبها مقابل ربح محدّد. والأمر المثير للتعجب أن فضيلة المفتي هو الذي يسأل محافظ البنك الأهلي عما يجريه البنك من المعاملات: وهل يدخل في إطار المضاربة الشرعية التي ذكرها الفقهاء في كتبهم أم لا؟ وذلك بدلاً من يسأل محافظ البنك الأهلي المفتي ليجيبه ببيان أحكام المضاربة المقرّرة في الفقه الإسلامي. ولكن صدرت الفتوى من محافظ البنك الأهلي وليس من المفتي.

ورغم ذلك أصدر الشيخ فتواه عن شهادات الاستثمار، فأباحها بكل أنواعها (أ، ب، ج) كما أباح فوائد البنوك، وأعادت هذه الفتوى الجدل في الصحف حول " فوائد البنوك" مرة أخرى، وأعادت بعث

مسألة حكم فوائد البنوك من مرقدها، بعدما قضى عليها مجمع البحوث الإسلاميَّة في المؤتمر المنعقد سنة ١٩٦٥م/١٣٨٥هـ بحضور مُمثلين عن ٣٥ دولة إسلاميَّة، من كبار العلماء، والذين درَسوا موضوع البُنوك ومعاملاتها، وانتهى المؤتمر بالإجماع إلى أنَّ فوائد البنوك مِن الرِّبا المقطوع بتحريمه بنصِّ الكتاب والسُّنة، ودعا المَجْمعُ أهْلَ الاختصاص من المسلمين؛ للبحث عن البديل الإسلاميِّ للبنوك الربويَّة، ووَضَع تصوُّرًا هو نفسُه الذي تقوم عليه البنوكُ الإسلاميَّة حاليًّا، وهو يقوم على أساس أنَّ المُودعين في البنك الإسلاميِّ هم أصحابُ رأس المال، والبنوك الإسلامية عامل المضاربة والاستثمار بالطُّرق التي أحلَّها الله - عزَّ وجلَّ - ونتيجة الاستثمار، فالرِّبح يُقسَّم بنسبة متَّفق عليها من قبْل؛ نسبة شائعة من الرِّبح، وليسَتْ من رأس المال.

وكان الدكتور/علي السالوس ممن تصدوا للرد على هذه الفتوى، مما حدا بالدكتور/طنطاوي إلى استصدار حكم قضائي ضده بالسجن عفا الله عنهما وغفر لنا ولهما.

وقد عرفت الدكتور/علي السالوس من خلال كتبه، قبل أن أعرفه بصفة شخصية حينما تبرعت زوجته الحاجة/زينب عبد الهادي عثمان بقطعة أرض لصالح جمعية أنصار السنة المحمدية (المركز العام) بحارة عثمان (المسماة نسبة إلى جدها) بمدينة أجا بمحافظة الدقهلية؛ لتقوم الجمعية بإقامة مجمع خيري يتكون من (١٤) محلا وعدة شقق يتم تأجيرها والإنفاق من عائدها على أوجه البر المختلفة، ونتيجة حدوث بعض المشكلات العارضة بهذا المبنى فحدث التواصل بيننا وكنت مكلفًا بالإشراف على هذا المبنى وإنهاء مشاكله واستكمال مبانيه وتأجيره؛ وقد تم ذلك جميعه بفضل الله سبحانه ثم بالمعاونة الصادقة من العديد من الإخوة الأفاضل، أعظم الله لهم الأجر والمثوبة.

وقد تخلل الحديث مناقشة حول بورصة الأوراق المالية (حيث إنني أنكر بشدة تكييف الأسهم بأنها حصة شائعة في رأس مال الشركة، ولا يتصور ذلك، لأنه لا خلاف بين رجال القانون وفقهاء الشريعة أن الأسهم مملوكة للشركة نفسها، والتي لها ذمة مالية مستقلة عن الشركاء، ومن ثم أرى أنها حقوق دائنية للمساهم لدى الشركة مصدرة السهم) خلافًا لما يراه فضيلته.

وأيًا ما كان الأمر فإنه يمكن أن تختلف في حكم مسألة أو مسائل مع الدكتور/علي السالوس، وأن تختلف معه في أنه وافق على أن يتصدر كواجهة للهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح والتي تم اختياره رئيسًا لها، ولكن من الإنصاف أن نتفق على حبه لدينه وحميته عليه، وحرصه الشديد على أن يرى الاقتصاد المحكوم بالمبادئ الإسلامية يحكم معاملات الناس وييسر أمورهم الحياتية. فنجده يقول في حوار تم نشره على صفحات مجلة التوحيد (عدد ذي الحجة ١٤١٨هـ) أجراه معه الأستاذ/جمال سعد حاتم رئيس التحرير الأسبق رحمه الله: "..... إنَّ الإسلام جاء لِيُطبَّق في كلِّ زمان ومكانٍ إلى أن تقوم السَّاعة، وهو كلٌّ لا يتجزَّأ، عامٌّ شاملٌ كامل؛ قال تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»، فالإسلام ليس عباداتٍ فقط، ولا عقائد فقط، ولا معاملاتٍ فقط، وإنَّما يشمل كلَّ الجوانب.....".

وقد توفي الدكتور/علي السالوس بدولة قطر بتاريخ ٢٠٢٣/٧/٢٥، ودفن بها، عليه رحمة الله عن عمر ناهز التسعين سنة. نسأل الله أن يغفر ذنبه وأن يكرم نزله، وأن يخلفه خيرًا في عقبه اللهم آمين.

إنما أشكو بثي وحزني إلى الله

الشيخ صلاح عبد الخالق
فرع بيشة قايد ـ شرقية

الحمد لله على نعمة الإسلام، والصلاة والسلام على سيد الأنام.

أما بعد: فمع كثرة شكوى بعض الناس في عصرنا الحاضر وتنوع أسبابها؛ هذه وقفات مع قول الله تبارك وتعالى: « قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (يوسف: ٨٦).

أولاً: معنى الشكوى:

شكا المَريضُ: تألَّم ممّا به من مرض ونحوه "شكا همَّه له: أبداه وبثَّه متوجِّعًا"؛ اشتكى إلى فلان: لجأ إليه ليُزيلَ شكواه" (معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢/١٢٢٩).

ثانياً: الشكوى إلى الله تعالى:

لا يخلو أحدٌ في هذه الحياة الدنيا من هم وغم ومشاكل فيحتاج إلى التنفيس عما ما في بداخله حتى يخفف ما به من آلام، فلمن يلجأ بالشكوى؟ يلجأ إلى الله تعالى من هذه الأمثلة:

(١) ابتلاء يعقوب عليه السلام بعقوق الأبناء: قال تعالى: « قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (يوسف: ٨٦).

البث الهم العارض الذي لا يمكنني الصبر عليه، وينتشر في كل نفسي، ويسدُّ عليَّ أسباب السرور، و(الحزن) ما يكون في النفس من الآلام الدفينة، وقد كان حزنه على يوسف قديما، وبثوا إليه همًّا آخر هو في ولديه شقيق يوسف وكبيرهم، و(إنما) أي أنه لا يشكو همومه العارضة، وأحزانه الدفينة إليكم، بل يشكوها إلى الله وحده. (وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)، هذه الجملة تحوي كل ما في نفسه من الرجاء الذي يرجوه والأمل الذي يأمله، وفيه دلالة على أنه يعلم أن الله كاشف كربه، مزيل همه. (زهرة التفاسير: ٧/٣٨٥٢).

(٢) ابتلاء أيوب عليه السلام بالأمراض: قال تعالى: « وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ » (الأنبياء: ٨٣- ٨٤).

وعَنْ أَنَس بْنِ مَالك رضي الله عنه قالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلى اللَّه عليه وسلم: "إنَّ أَيُّوبَ نَبيَّ الله عليه السلام لَبثَ به بَلاؤُهُ ثَمَانيَ عَشْرَةَ سَنَةَ، فَرَفَضَهُ القَرِيبُ وَالبَعيدُ إلا

رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِه". (صحيح ابن حبان - السلسلة الصحيحة: ١٧).

وأيوب هنا في دعائه لا يزيد على وصف حاله: «أني مسني الضر» ووصف ربه بصفته: «وأنت أرحم الراحمين»، ثم لا يدعو بتغيير حاله، صبرًا على بلائه ولا يقترح شيئًا على ربه، تأدبًا معه وتوقيرًا. فهو نموذج للعبد الصابر لا يضيق صدره بالبلاء، ولا يتململ من الضر الذي تضرب به الأمثال في جميع الأعصار. بل إنه ليتحرج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه، فيدع الأمر كله إليه، اطمئنانًا إلى علمه بالحال وغناه عن السؤال «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ».

بعد أن دعا أيوب ربه بهذه الثقة، وبهذا الأدب والإخلاص كانت الإجابة المتمثلة في قوله تعالى: «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ» أي دعاءه وتضرعه «فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ» أي: فأزلنا ما نزل به من بلاء في جسده، وجعلناه سليما معافى. (التفسير الوسيط لطنطاوي (٩/٢٤١)).

(٣) ابتلاء النبي صلى الله عليه وسلم بعقوق قومه: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى الطَّائِفِ مَاشِيًا عَلَى قَدَمَيْهِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، فَلَمْ يُجِيبُوهُ فَانْصَرَفَ، فَأَتَى ظِلَّ شَجَرَةٍ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ. يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟، إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي، أَمْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضْبَانًا عَلَيَّ، فَلَا أُبَالِي، إِنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سَخَطَكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» (المعجم الكبير للطبراني (١٨١)، مجمع الزوائد (٩٨٥١) للهيثمي وقال: فيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات. وضعفه الألباني لعنعنة ابن اسحق).

(٤) شكوى عقوق الزوج: قال تعالى: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» (المجادلة: ١)؛ قَالَتْ عَائِشَةُ: تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ، إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ، وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهِيَ تَقُولُ: يَا رسول اللَّهِ، أَكَلَ شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي، وَانْقَطَعَ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنِّي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ. فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ بِهَؤُلَاءِ الْآيَاتِ: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ» سنن ابن ماجه (٢٠٦٣)، صحيح، الإرواء (٧/١٧٥).

ثالثا: لماذا نشكو إلى الله تعالى؟

لعدة أسباب منها:

(١) أن اللّٰه تعالى وحده القادر على كشف البلوى: قال تعالى: «وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (الأنعام: ١٧)؛ «وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللّٰه بِضُرٍّ»: أي: وإن يُصبك اللّٰه تعالى ببلية كمرض وفقر ونحو ذلك، والضر: اسم جامع لما ينال الإنسان من ألم ومكروه وغير ذلك مما هو في معناه: «فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ»: أي: فلا رافع له عنك إلا هو وحده: أي: وإن يصبك أيها الإنسان ضر كمرض وفقر وحزن وذل اقتضته سنة الله. فلا كاشف له ولا صارف يصرفه عنك إلا هو سبحانه وتعالى. (حدائق الروح والريحان ٨/٢٣٨).

(٢) اللّٰه تعالى وحده القادر على تعويض أهل البلاء: من ذلك مثلاً: (أ) قال تعالى: «وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» (البقرة: ١٥٥- ١٥٧). عند المصائب والشدائد نصبر ونشتكى إلى الله ونقول: «إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»؛ فإذا فعلنا ذلك نفوز

بالآتي مثلا: «أُولَئكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ»؛ «عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ» أي ثناء وتنويه بحالهم «وَرَحْمَةٌ» عظيمة، ومن رحمته إياهم، أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر. (تفسير السعدى: ١/٧٥).

أَرَادَ بِالرَّحْمَةِ كَشْفَ الْكُرْبَةِ وَقَضَاءَ الْحَاجَةِ. الاهْتِدَاءَ: إِلَى تَسْهِيلِ الْمَصَائِبِ وتخفيف الحزن. (تفسير القرطبي ٢/١٧٧).

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا "، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ» (صحيح مسلم: ٩١٨).

وَمَعْنَى آجَرَهُ اللَّهُ أَعْطَاهُ أَجْرَهُ وَجَزَاءَ صَبْرِهِ (وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا) أَيِ: اجْعَلْ لِي خَلَفًا مِمَّا فَاتَ عَنِّي فِي هَذِهِ الْمُصِيبَةِ. (إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا) يُقَالُ: لِمَنْ ذَهَبَ مَا لَا يُتَوَقَّعُ حُصُولُ مِثْلِهِ بِأَنْ ذَهَبَ وَالِدُهُ خَلَفَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنْهُ بِغَيْرِ أَلِفٍ أَيْ: كَانَ اللَّهُ خَلِيفَةً مِنْهُ عَلَيْكَ، وَيُقَالُ لِمَنْ ذَهَبَ لَهُ مَالٌ أَوْ وَلَدٌ أَوْ مَا يُتَوَقَّعُ حُصُولُ مِثْلِهِ: أَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْكَ، أَيْ: رَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ مِثْلَهُ. (مرقاة المفاتيح ٣/١٦٧).

(ب) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنَ، فَلَمْ يَشْكُنِي إِلَى عُوَّادِهِ، أَطْلَقْتُهُ مِنْ أَسَارِي، ثُمَّ أَبْدَلْتُهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ، ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ الْعَمَلَ" أخرجه الحاكم (١٢٩٠) صحيح الجامع (٤٣٠١).

"ابتليت عبدي المؤمن" أي اختبرته وامتحنته (فلم يشكني) أي لم يخبر بما عنده من الألم (إلى عواده) أي زواره في مرضه (أطلقته من إساري) أي من ذلك المرض (ثم أبدلته لحمًا خيرًا من لحمه) الذي أذهبه الألم (ودمًا خيرًا من دمه) الذي أذهبه الألم (ثم يستأنف العمل) أي يكفر المرض عمله السيء ويخرج منه كيوم ولدته أمه. (فيض القدير (٤/٤٩٤).

رابعًا: هل يجوز الشكوى إلى غير الله تعالى؟

يجوز الشكوى لغير الله تعالى في أحوال معينة:

(١) جوازِ الشكوى من المرض فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا قالت: وَارَأْسَاهْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهْ. صحيح البخاري (٧٢١٧).

فقه الحديث: جواز الشكوى من المرض، وأنه لا ينافي الرضا بقضاء الله، ولا يعارض الصبر، وقد شكا النبي صلى الله عليه وسلم رأسه بقوله: " بل أنا وارأساه"، وهو سيد الصابرين. (منار القاري: ٥/٢٠٣).

(٢) يجوز للمريض أن يشكو للطبيب والصديق ما يجده من الالم والمرض ما لم يكن ذلك على سبيل التسخط واظهار الجزع" (فقه السنة:١/٤٨٨). فعن عَبْد اللَّه بْن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «أَجَلْ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا» رواه البخاري (٥٣٤٣) ومسلم (٢٥٧١)؛ الوعك قيل: هو الحمى، وقيل: ألمها.

والحمد لله رب العالمين.

الإنصاف

الشيخ حسين صادق

رئيس فرع دمياط سابقا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد، فقد أصَّل الإسلام أصولاً وأرسى قواعد يتعامل بها المسلم مع الخَلق، ودعا الإسلام إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (سنن البيهقي)، وفي رواية "إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق" (رواه أحمد في مسنده- مسند أبي هريرة).

ومِن جملة الأخلاق التي أكد عليها الإسلام: خُلق يمثل ركيزة أساسية لإصلاح المجتمعات، ولا تستقيم الحياة إلا به، ذلك هو خُلق الإنصاف.

والإنصاف يُعرِّفه ابن منظور في لسان العرب (٣٣٢/٩) فيقول: "أنصف الرجل أي عَدَل، وأنصفت الرجل أنصفه إنصافًا أي أعطيته الحق، وتناصف القوم إذا تعاطوا الحق بينهم".

ويقول الزبيدي في تاج العروس (٤١٣/٢٤): "والإنصاف العدل. قال ابن الأعرابي: أنصف إذا أخذ الحق وأعطى الحق".

ومما سبق تقف على حقيقة الإنصاف ومقصوده، وهو أن تعطي غيرك من الحق مثل الذي تحب أن تأخذه منه لو كنت مكانه، وذلك في الرضا والغضب مع من تحب ومن تكره.

وعندما تتدبر القرآن تراه يؤكد على هذه القيمة قال الله تعالى: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ» (الحديد: ٢٥)؛ قال السعدي رحمه الله: "الميزان" هو العدل في الأقوال والأفعال. ويقوم الناس بالقسط" أي قيامًا بدين الله وتحصيلاً لمصالحهم التي لا يمكن حصرها ولا عدها".

من أجل ذلك ترى كيف تعامل القرآن مع أشد الأمم خصومة لأمة الإسلام، وأكثر الأمم إيذاءً للأنبياء، وأكثرها جرأة على الله، فيذكر إحسانهم إنْ أحسنوا أو أحسن بعضهم؛ يقول الشيخ السعدي- رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: «وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ» (الأعراف ١٥٩)؛ وكأن الإتيان بهذه الآية الكريمة فيه نوع احتراز مما تقدم فإنه تعالى ذكر فيما تقدم جملة من معايب بني إسرائيل المنافية للكمال، والمناقضة للهداية، فربما توهَّم متوهم أنَّ هذا يعمُّ جميعهم فذكر تعالى أنَّ منهم طائفة مستقيمة هادية مهدية. ا.هـ

كذلك يستثني القرآن الفئة الصالحة منهم وإن ندرت؛ تحقيقا لمبدأ الإنصاف مع المخالف قال تعالى: «وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ» (المائدة ١٣).

وإنك لترى ذلك جليًا في أخلاق الصحب الكرام رضوان الله عليهم؛ فتراهم يترفَّعون عن كل خلق غير محمود، ويسلكون مسلك الإنصاف، ومما ورد في ذلك ما أخرجه البخاري في كتاب المغازي، ومسلم في كتاب التوبة عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها كانت تكره أن يُسَبَّ عندها حسان، وتقول إنه الذي يقول:

فإن أبي ووالده وعِرضي
لعرض محمد منكم وقاء

وحسان بن ثابت رضي الله عنه كان ممن خاض في الإفك مع من خاضوا، وتكلم في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهي مَنْ هي، ولا شيء أشد على

الإنسان من اتهامه في عرضه، لكنها لم تشأ أن تقف عند هذه وتنسى صحيفة عريضة من المحاسن والفضائل لحسان؛ إعمالاً للإنصاف مع شاعر النبي صلى الله عليه وسلم، والذي سخر لسانه للكف عنه وعن دعوته صلى الله عليه وسلم. وفي صحيح مسلم برقم ١٨٢٨ من حديث عبدالرحمن بن شماسة المهري قال دخلت على عائشة رضي الله عنها، فقالت: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلتُ: رَجُلٌ من أَهْلِ مِصْرَ، فَقالَتْ: كَيفَ كانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ في غَزَاتِكُمْ هذه؟ فَقالَ: ما نَقَمْنَا منه شيئًا، إنْ كانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَّا البَعِيرُ فيُعْطِيهِ البَعِيرَ، وَالعَبْدُ فيُعْطِيهِ العَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إلى النَّفَقَةِ، فيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقالَتْ: أَمَا إنَّه لا يَمْنَعُنِي الَّذي فَعَلَ في مُحَمَّدِ بنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي، أَنْ أُخْبِرَكَ ما سَمِعْتُ من رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عليه وَسَلَّمَ يقولُ في بَيْتِي هذا: اللَّهُمَّ مَن وَلِيَ مِن أَمْرِ أُمَّتي شيئًا فَشَقَّ عليهم، فَاشْقُقْ عليه، وَمَن وَلِيَ مِن أَمْرِ أُمَّتي شيئًا فَرَفَقَ بهِمْ، فَارْفُقْ به.

والأمير الذي تسأل عنه عائشة رضي الله عنها هو معاوية بن حُديج كان أحد أمراء معاوية بن أبي سفيان وقواده، وكان محمد بن أبي بكر مواليًا لعلي بن أبي طالب وواليًا له على مصر ودارت الحرب، فلما ظهر وانتصر جيش معاوية قتل ابن حُديج محمد بن أبي بكر. ولم يمنعها ذلك أن تذكر ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مما يحمل مدحًا وبشارة لأمثال هذا الأمير لحُسن سيرته مع رعيته، وممن هم تحت ولايته.

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم حقق الإنصاف مع كل من يتعامل معه، حتى مع الحيوانات حتى أنصف دابته، وناقته ولم يرضَ كلمة خرجت من أصحابه، فقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم بألف وأربعمائة رجل يريدون العمرة في السنة السادسة للهجرة، وبينما رَكْبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يسير بركت الناقة التي يركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكان يسمى الحديبية؛ فقال الصحابة: خلأت القصواء، يعني حرنت.

فقال صلى الله عليه وسلم: "ما خلأت القصواء، وما كان لها بخُلق، ولكن حبسها حابس الفيل" (رواه البخاري)؛ فانظر كيف لم يرضَ النبي صلى الله عليه وسلم أن توصف القصواء بما ليس فيها تحقيقًا لمبدأ الإنصاف.

سبل تحقيق الإنصاف:

ولكي يحقق الإنسان الإنصاف ثمة مجموعة من القواعد على المرء أن يتبعها بل يجب أن تقر في نفسه وترسخ في عقله حتى تكون حاضرة في كل تعامل أو شهادة أو قول، وما رسخ في الذهن وقرَّ في النفس أوشك أن يكون سجية من سجايا المرء من ذلك:

التجرد وتحري القصد: هناك الكثير من المقاصد التي تقبع خلف حكم تطلقه على إنسان أو شهادة تشهدها فيه أو حتى مجرد رأي فقد يكون المرء متجردًا لا يحرّكه هواه، يضبطه في ذلك دينه، وذلك ما يجب أن يكون عليه المسلم، وقد يسير آخر خلف هواه يحركه حسد أو حقد، أو خلاف يؤدي إلى الرغبة في التشفي والانتقام والانتصار للنفس، أو إعلاء طائفة ينتمي إليها فيطمس معها كل خير عند المخالف له.

والله تعالى يقول في كتابه: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » (المائدة ٨)

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "وكل أهل نحْلة ومقالة يكسون نحلتهم ومقالتهم أحسنَ ما يقدرون عليه من الألفاظ، ومقالة مخالفيهم أقبح ما يقدرون عليه من الألفاظ، ومن رزقه الله بصيرة فهو يكشف حقيقة ما تحت الألفاظ من الحق والباطل، ولا تغتر باللفظ كما قيل في هذا المعنى:

تقول هذا جنى النحل تمدحه
وإن تشأ قلت ذا قيء الزنابير
مدحًا وذمًا وما جاوزت وصفها
والحق قد يعتريه سوء تعبير

(مفتاح دار السعادة ١/٣٩٧).

وإنما على المرء إن أراد الصواب والإنصاف أن يتجرد من كل ميل ويسلك طريق الحق.

التثبت والتبين قبل الكلام

ليس من الإنصاف أن يتكلم المرء بغير علم أو

يخوض مع الذين خاضوا دون تثبُّت ووقوف على حقيقة القول قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ» (الحجرات: ٦)؛ قال الحسن البصري رحمه الله: "المؤمن وقّاف حتى يتبين".

وسليمان عليه السلام لم يقبل خبر الهدهد مع علمه أنه لا يكذبه، وانما أمهله حتى يتثبت قال: «سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين»، ولربما نقل الخبر أحد الرواة الصادقين لكنه غير ضابط لما روى فيُؤتَى من قِبَل سوء حفظه أو فهمه، ولله دَرّ من قال: "وما آفة الأخبار إلا رواتها".

وهذا الذي يجري على لسانه كل خبر سمعته أذنه أو شك أن يقع في الكذب، وفي مقدمة صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كفى بالمرء إثمًا أن يُحدِّث بكل ما سمع".

على أنّ هذا الأمر وهو عدم التثبت قد أحدث شروخًا في المجتمع وكسورًا لا يمكن جَبْرها، فكم من مشكلة بُنيت على قالوا كذا، وكم من بيت خُرب، وآصرة قطعت، وروابط فرّقت بسبب عدم التبين والتثبت.

حمل الكلام على أحسن الوجوه:

وذلك من باب حُسن الظن، وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه بسند صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يطوف بالكعبة: "ما أطيبك! وأطيب ريحك!، وما أعظمك! وأعظم حُرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك: ماله ودمه، وأن لا يُظن به إلا خيرًا".

وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: كتب إليّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرًا وأنت تجد لها في الخير محملاً" (شعب الإيمان للبيهقي ١٠/ ٦٠).

النظر في محاسن المرء ومساوئه:

المرء يجتمع فيه الحسن والقبيح، وتحمل نفسه خيرًا وشرًا، ومن الجور أن يعمد الإنسان إلى السيئة يعظمها، وإلى الحسنات من أخيه فيحقرها، والأصل أن الإنسان إن رأى حسنة نشرها، وإن رأى سيئة سترها وكان النصح منه لأخيه في ستر وبرفق، والنبي صلى الله عليه وسلم قال في شأن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه: "لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم". (صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير).

قيل هذا في معرض خطأ وقع فيه حاطب رضي الله عنه، ولم يكن بالخطأ الهين، غير أن لحاطب محاسن ينبغي أن توضع في الاعتبار عند النظر إلى خطئه، ولذلك قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "والمنصف مَن اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه". ويقول سعيد بن المسيب رحمه الله: "ليس من شريف ولا عالم ولا ذي سلطان إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، فمن كان فضله أكثر من نقصه وُهِبَ نقصه لفضله".

وإذا أمعنت النظر رأيت أن في هذا الخُلق حلاً لكثير من المشكلات فيما بين الأزواج، وبين الشركاء، وبين الأصدقاء، بل وبين المتبايعين، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يفرك مؤمن مؤمنة: إن كره منها خلقًا، رضيَ منها آخر" (رواه مسلم: ١٤٦٩)؛ فما بين الزوجين من خلاف يقوم في غالبه على إجحاف يقوم به الزوج أو كفران عشير من قِبل الزوجة، وما أحرى أن يقوم الزوجان بالنظر إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم! فكلاهما في حاجة إلى نظرة منصفة، وإلى عين تُقدِّر ما يقدمه كل منهما للآخر.

قل مثل ذلك في كل صلة بين اثنين أو معاملة إذا ما حل فيها الإنصاف ذهب الخلاف وما أجمل ما قاله ابن حزم رحمه الله تعالى: "مَن أراد الإنصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه فإنه يلوح له وجه تعسفه" (الأخلاق والسير صـ٨٢).

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "والإنصاف أن تكتال لمنازعك بالصاع الذي تكتال به لنفسك؛ فإن في كل شيء وفاءً وتطفيفًا" (تهذيب السنن ١/ ١١٥).

أن تسلك مسلك الإنصاف ليس بالأمر الهيّن؛ لذا ينبغي توطين النفس وتعويدها الإنصاف وحملها عليه حملاً، قال تعالى: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين» (العنكبوت ٦٩).

نسأل الله أن يجعلنا من أهل الإنصاف، وأن يهدينا لأحسن الأخلاق، ويصرف عنا سيئها.

مسابقة المركز العام للقرآن الكريم

تعلن إدارة شئون القرآن الكريم بالمركز العام عن المسابقة السنوية لعام (1445هـ - 2023م) على النحو التالي:

- **المستوى الأول:** حفظ القرآن الكريم كاملاً، بشرط ألا يزيد السن عن 20 سنة.
- **المستوى الثاني:** حفظ نصف القرآن الكريم، بشرط ألا يزيد السن عن 15 سنة.
- **المستوى الثالث:** حفظ ربع القرآن الكريم، بشرط ألا يزيد السن عن 12 سنة.
- **المستوى الرابع:** حفظ عشرة أجزاء من القرآن، بشرط ألا يزيد السن عن 10 سنوات.

وستكون المسابقة بالمحافظات- إن شاء الله- اعتبارًا من السبت 16 / 9 / 2023م، على أن يتم اختيار عشرة متسابقين من كل مستوى.

والمسابقة النهائية بالمركز العام لجميع المستويات يومي السبت والأحد 23، 24 / 9 / 2023م.

جوائز المسابقة

أولاً المستوى الأول والثاني:

الفائز	المستوى الأول	المستوى الثاني
الأول	رحلة عمرة شاملة	20 ألف جنيه
الثاني	20 ألف جنيه	15 ألف جنيه
الثالث	15 ألف جنيه	12 ألف جنيه
الرابع	12 ألف جنيه	عشرة آلاف جنيه
الخامس	عشرة آلاف جنيه	سبعة آلاف جنيه
من السادس إلى العاشر	خمسة آلاف جنيه	أربعة آلاف جنيه

ثانيًا المستوى الثالث والرابع:

الفائز	المستوى الثالث	المستوى الرابع
الأول	عشرة آلاف جنيه	سبعة آلاف جنيه
الثاني	ثمانية آلاف جنيه	خمسة آلاف جنيه
الثالث	ستة آلاف جنيه	أربعة آلاف جنيه
الرابع	أربعة آلاف جنيه	ثلاثة آلاف جنيه
الخامس	ثلاثة آلاف جنيه	ألفي جنيه
من السادس إلى العاشر	ألفي جنيه	ألف جنيه

ثالثًا: يمنح لكل واحد من العشرة الأوائل من المستوى الأول على كل محافظة 500 جنيه، والمستوى الثاني 400 جنيه، والمستوى الثالث 300 جنيه، والمستوى الرابع 200 جنيه.

للاستفسار :

علاء المرسي صقر

مدير إدارة شئون القرآن بالمركز العام

هاتفيًا أو واتس على رقم:

01004511528

والله ولي التوفيق

ندعوكم للمساهمة

في دعم جوائز المسابقة حساب رقم 21880
بنك فيصل الإسلامي ـ فرع القاهرة

التوحيد
الحقد النصيري على أهل السنة
وقفات شرعية
يا دعاة
رمضان

مجلة

التوحيد

هدايا قيمة

لأول ١٠٠

من المشترين

١٠٠٠

جنيه مصري سعر الكرتونة

بدلاً من

~~١٢٥٠~~

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة

سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا

بدلا من ٤٠ جنيهًا

للحصول على الكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

ت/٠٢٢٣٩٣٦٥١٧